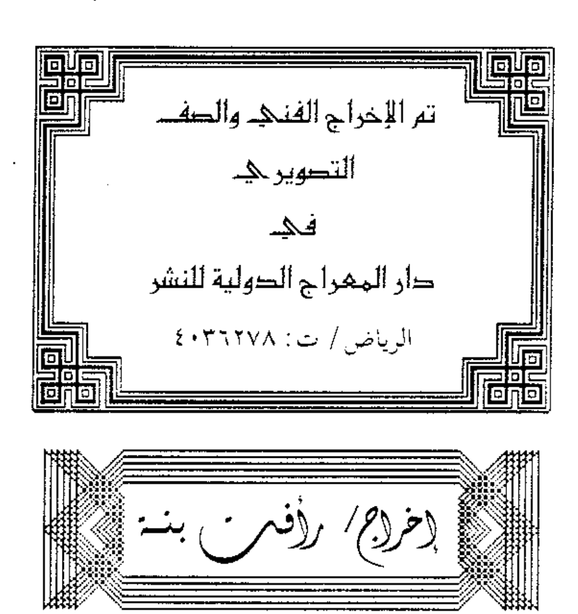
منذر الأسعد

الصحابة و النفاق

تفنيد لأباطيل أستاذ جامعي يتهم الصحابة بالكذب على رسول الله ﷺ

الناشر
دار المعراج الدولية للنشر

الطبعة الأولى
١٤١٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء • تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون• ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار • يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾

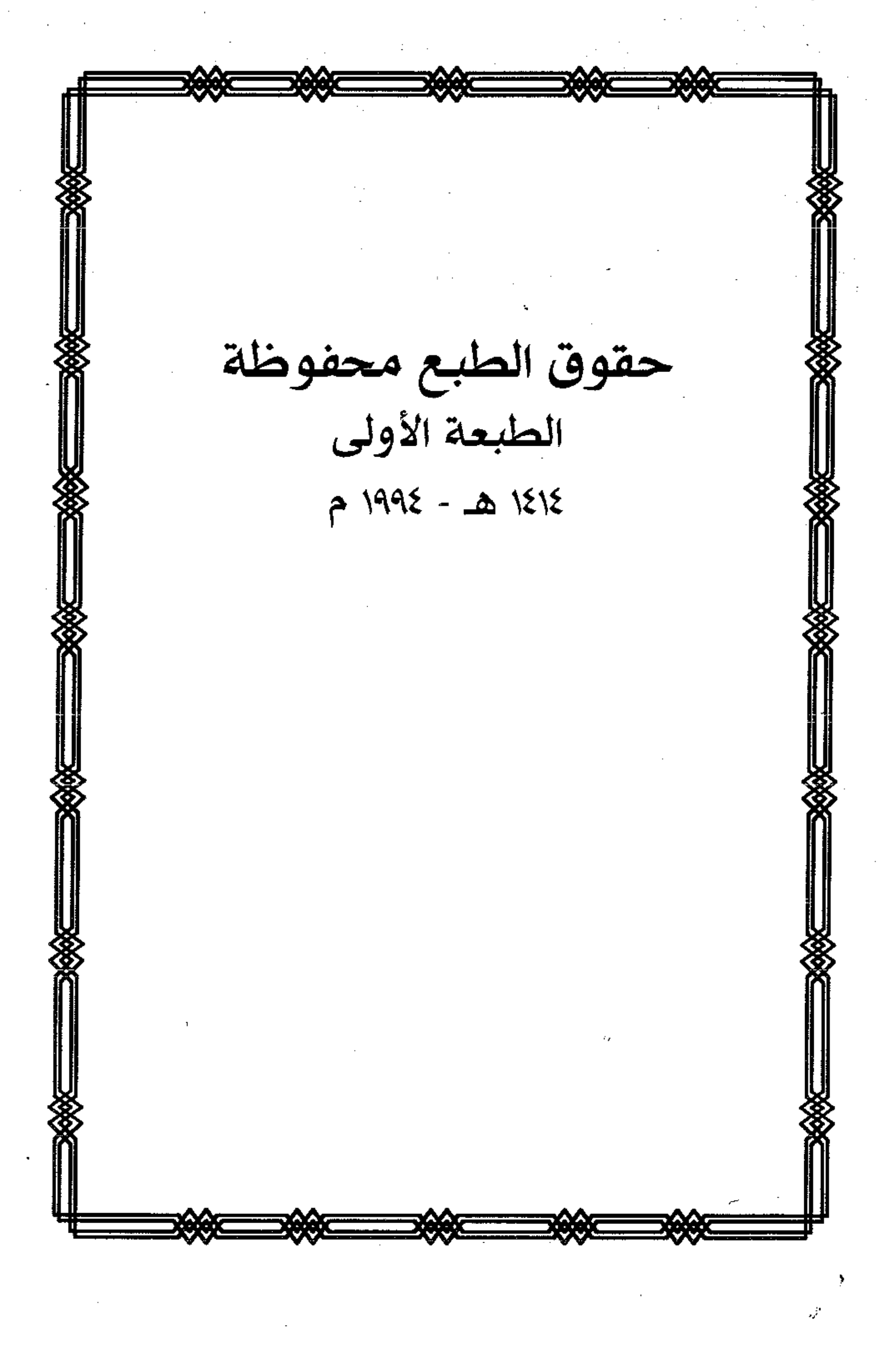
[سورة إبراهيم: ٢٤ – ٢٧]

﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾

[سورة فاطر: ٨]

﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾

[سورة محمد: ١٤]



الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

توطـــئة

الحمد للَّه القائل في محكم التنزيل :

﴿اليـوم أكـملت لكم دينكم وأتممت عليكـم نعـمـتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. .

أما بعد:

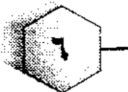
فقد شاء اللَّه - تبارك وتعالى - أن ألتقي على غير موعد، رجلاً كنت أسمع عنه خيراً، وله إسهام في الأدب الإسلامي محمود. . . ثم تشعب الحديث فإذا بالرجل يشن هجوماً ضارياً على أهل الحديث النبوي لقولهم بعدالة الصحابة، مفترياً على صحابة رسول اللَّه ﷺ أنهم كسواهم من البشر، فيهم الصالح والطالح، وهناك منافقون أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام، فلا سبيل إلى تمييز الصحابي المؤمن من المنافق الزنديق!! ولذلك

فليس ما يمنع من أن يتعمد بعضهم الكذب على الوحي، باختلاق أحاديث ونسبتها إلى المصطفى ﷺ.

وحاولت أن أوضح له خطورة هذا المنزَلق، أو أن أفند دعاواه الباطلة، فإذا به يأبى الحوار النظيف، ولا يتيح لمخالفه فرصة للتعبير عن وجهة نظره.. وعند هذا الحد اضطررت أن أدعوه إلى مناظرة، فقال: إنه يعد العدة لإظهار آرائه هذه مكتوبة!!

وبعد أيام معدودات سألت الأستاذ الدكتور: عبد الجبار الزيدي عن نقاط معينة تتصل بتخصصه الذي يدرّسه بالجامعة، وهو علوم الحديث النبوي، فأفادني مشكوراً.. ولما استفسر عن الغرض مما طلبته، حدثته عن المسألة دون ذكر اسم صاحبها، فأبلغني أن طرحاً من هذا القبيل جرى في جلسة أخرى..

وحينما أبلغت صديقي الأستاذ: إبراهيم الماجد، صاحب دار المعراج عن نيتي إصدار هذا الرد، أبدى ترحيبه وسألني عن اسم الشخص المردود عليه، فاعتذرت عن عدم البوح به، لأن غرضي -إن شاء اللَّه- ليس التشهير بأحد، فارتضى عذري بأدبه الجم.



غير أنه في المساء اتصل بي هاتفيا، وقال لي: أليس فلان هو صاحب هذه المقولات؟ . . . فأسقط في يدي وقلت: بلى، فكيف عرفت؟ فقال: إن شقيقي طالب عند المذكور، وقد حدثني قبل قليل عن آرائه الشاذة التي يلقيها على الطلبة!!!

وبذلك ازددت تصميماً على المضيّ في تأليف هذه الصفحات راجياً من ربي -سبحانه- أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها من سمع بهذه الأباطيل فشوشت عليه الحقائق، ومن يريد التزود لمواجهة من يروجون لهذه الفرية.

وأعوذ بالله من فتنة القول وفتنة العمل، وأسأله -عز وجل- أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وأما القائل بهذه الأراجيف فأدعوه إلى أن يقرأ هذه الرسالة بروح الباحث عن الحق، فليس من طلب الحق فأخطأه مثل من طلب الباطل فأصابه -كما يروى عن الإمام علي «رضي الله عنه»-. إن الرجوع عن الخطأ فضيلة، ولهذا صعد أبو الحسن الأشعري منبر الجامع في البصرة، ليعلن رجوعه عن ضلالات المعتزلة إلى معتقد أهل السنة والجماعة، فنجا -إن شاء الله- في الأخرى، وارتفع شأنه عند أهل الحق في الدنيا.

وعلم اللّه أن المسألة بيني وبين صاحب مقولات الزيف عن الصحابة مسألة اعتقاد أدين للّه به، وليست خصومة شخصية. . . وهذا ما يجعلني على أتم الاستعداد للرجوع عن أي موقف في كتابي، يتضح أنه مخالف للحق أو مجاف للصواب. .

فالخطأ من نفسي ومن الشيطان.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وأصحابه البررة الميامين، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الفقير إلى عفو ربه

منذر بن سليمان الأسعد

حرر بمدينة الرياض يوم الثلاثاء

٢٤ شوال ١٤١٤هـ (الموافق ٥/ ٤/ ١٩٩٤م)

مضمـــون الدعـــوى

إن أبرز البنود في ادعاءات صاحبنا، ما يلي:

١ - أن أهل السنة يبالغون في القول بعدالة الصحابة مع أن بعضهم ارتد!!

٢ - أنهم يعدون معاوية بن أبي سفيان صحابياً عدلاً، برغم كل ما فعل، وكذلك عمرو بن العاص....

٣ - أن معظمهم من النواصب الذين يبغضون الإمام علي ابن أبي طالب وذريته من آل البيت الكرام، بدليل موقفهم مما شجر بينه وبين معاوية، وبدليل أن البخاري ومسلماً لم يرويا عن جعفر الصادق ولو حديثاً واحداً... وبدليل أن اسم «علي» من الأسماء النادرة عندهم[1] ...

---

(١) من المثير للسخرية أنه استشهد لهذه المقولة بأن أسرة حاكمة في بلد عربي ليس فيها من يسمى «عليا»، ورغم تهافت هذه الحجة لأن أسرة واحدة حتى لو بلغ عدد أفرادها بضعة آلاف ليست حجة على مئات الملايين، فإن الهوى جعله يتناسى أنه ليس فيها -في حدود علمي- أشخاص يحملون أسماء: بكر وعثمان وعمر!! فهل يقوده منطقه الجائر إلى أن أهل السنة يبغضونهم أيضاً؟.

٤ - استحالة التمييز بين الصحابي والمنافق.

٥ - ابن شهاب الزهري يعترف بأنه كذب في الحديث النبوي لصالح الأمويين[١].

(١) من أمارات المكابرة أنه أحال في هذه الأكذوبة إلى الدكتور مصطفى السباعي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، رافضاً ما أوضحه السباعي من الحق إزاء الأكاذيب التي رمى بها المستشرقون وأشياعهم واحداً من أفاضل علماء السلف!!!

في الإجـــراءات

قبل بيان الحق إزاء الأباطيل الموضحة فيما سبق لابد من التنبيه إلى أنه لا جديد فيها، فالعداء للصحابة والسنة الشريفة قديم، وتلك المقولات مشهورة منذ قرون، وهي المقولات التي تبناها غلاة المستشرقين الحاقدين، فغرَّبوا بها وشرَّقوا في إطار غايتهم الدنيئة الواحدة: تشويه رسالة الإسلام..

على أن بدعة التطاول على الصحابة -كلهم أو جُلهم- لم تظهر بصورة جماعية سافرة في القرن الهجري الأول، وكذلك بدعة رفض السنة النبوية بذريعة جرح عدالة الصحابة.. سواء في ذلك الذين انحازوا إلى علي رضي الله عنه، والذين قاتلوه في الجمل أو صفين أو النهروان، والذين اعتزلوا الجميع.. لم يُرَدَّ خلال ذلك كله حديث نبوي واحد من أي فريق لطعن في رواته من الصحابة، وإنما كانت الحجج في ميدان فهم النصوص الشرعية -قرآناً وسنة- وحول تأويلها... وهذا ما سنقدم البراهين عليه في موضعه.

ومن المفارقات، أن الإساءة إلى الصحابة ظهرت في

الأصل على يد بعض الولاة الظالمين في العهد الأموي، وهم من النواصب المبغضين لآل البيت، كالحجاج بن يوسف الثقفي وعبيد اللّه بن زياد[1]، فهذه البدعة المنكرة بدأت على أيدي أعداء البيت، وذلك بخلاف ما يروم صاحب الأباطيل تصويره!!!

* ولم تبرز هذه البدعة الغليظة في هيئة تيار جماعي، إلا في فترة متأخرة عند بعض رؤوس المعتزلة الذين وضعوا أهواءهم في مصادمة مع النصوص الصريحة، زاعمين أنهم احتكموا إلى العقل، مع أن العقل السليم يدحض تخرصاتهم..

وإن كان الإنصاف الذي تعلمناه من كتاب ربنا وسنة نبينا، يقتضي منا التنويه إلى أن المعتزلة -على تخبطهم منذ البداية- كانوا يلتزمون السنة النبوية معظم القرون الثلاثة المفضلة، وذلك ما نص عليه الخياط المعتزلي في كتابه «الانتصار» الذي ألّفه قبل سنة ٣٠٠ هجرية[2]!!.

---

(١) انظر: رياض الصالحين للنووي - ص ٨٠، والبداية والنهاية لابن كثير - ٨/ ٢٨٥، و ٩/ ٦٥.

(٢) مناهج المستشرقين -بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية - د. محمد مصطفى الأعظمي - ص ٨٨، ٨٩.

بعد ذلك ظهرت بذاءات تطعن في الصحابة وفتاواهم، فنسبهم الضالون المضلون إلى الجهل أو النفاق - والعياذ بالله-، وبعض المعتزلة شكك في عدالة علي وابنيه وابن عباس وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، وقال واصل بن عطاء -بصفاقة-: لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل، لم أحكم بشهادتهما، لعلمي بأن أحدهما فاسق وإن كنت لا أعرفه بعينه!!

أما عمرو بن عبيد فيفسّق الفريقين معاً بأعيانهما[1] !!

ثم فشت هذه البدعة النكراء في غلاة الشيعة والخوارج..

وفي عصرنا الحديث أنعشها المستشرقون المتطرفون في عداوتهم للإسلام، وبخاصة جولد زيهر وشاخت وشبرنجر... وسار عبيد التغريب على نهجهم المنحرف، كجماعة «القرآنيين» التي نشأت في شبه القارة الهندية، وطه حسين في «الفتنة الكبرى»، وأحمد أمين في «فجر الإسلام» وأبي رية في «أضواء على السنة المحمدية» وحسين أحمد أمين- في: «دليل المسلم الحزين»........ على أن غلاة المستشرقين

(١) الفرق بين الفرق - البغدادي - ص ٣٠٥، ٣٠٦.

والمنصرين لم يبلغوا ما بلغه أذيالهم، فجولد زيهر وشاخت يزعمان عدم صحة الأحاديث النبوية، غير أنهما يلقيان مسؤولية الوضع فيها على التابعين، وشبرنجر يكاد يحصر افتراءاته في أبي هريرة . .

في حين تصل فرية تكذيب الصحابة عند حسين أمين إلى الغالبية العظمى منهم[1] !! ويبلغ به السفه أنه يؤيد علي عبد الرازق في تزوير حقائق التاريخ الناصعة، باتهامه أبا بكر الصديق بأنه لم يحارب المرتدين مانعي الزكاة دفاعاً عن الدين، وإنما للسياسة والذود عن دولة العرب (كذا !! مع أن المرتدين كانوا جميعاً من العرب!) وعن مصالح قريش (علماً بأن هذا الدين لم ينتشر إلا بعد عدة حروب بين رسول اللّه والمسلمين في جهة، وقريش في جهة أخرى!!)[2] .

---

(١) دليل المسلم الحزين – حسين أمين – ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص: ٢٧٧–٢٩١، وانظر دحض أكاذيبه في: إسلام آخر زمن – منذر الأسعد – جـ١ ص: ٥٥–٧٠ .

ما الجديد؟

وهذا السؤال حق مشروع للقارئ الذي لا يعجبه أن يظهر رد على شبهات لا جديد فيها، لا سيما أن العلماء المخلصين كتبوا في بيان تهافتها مؤلفات عدة، منذ ابن قتيبة -رحمه اللّه-. غير أنه من واجبي أن أوضح دواعي تسطير هذا الرد، وهي:

١ - أن الداعين إلى هذه الفرية في عصرنا، إما أنهم من اللادينيين (العلمانيين) المفضوحين، وإما أنهم من أتباع طوائف معروفة بشططها . . .

في حين أن صاحبنا هذا ليس من الفريقين، وهذا أحد مصادر التباس أمره على الناس، فيغتر بدعاواه قليلو الاطلاع على العلوم الشرعية وحقائق تاريخ الصدر الأول.

٢ - أن بعض مستندات ادعاءاته غير مشتهرة في زماننا، والردود عليها كذلك.

٣ - أنه يبث مفترياته بين طلبته في الجامعة.

٤ - أن مسألة النفاق لم تحرر -فيما أعلم- تحريراً شافياً،

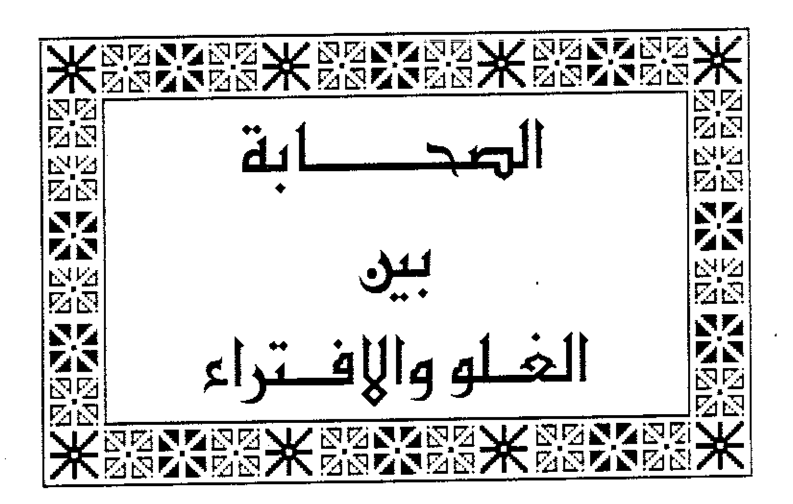
لأنها لم تطرح من قبل على يدي شخص ينتمي إلى أهل السنة .

٥ - أنه اشتط في مزاعمه الظالمة ، في حين نطالع مواقف منصفة من بعض المستشرقين ولدى مفكرين غير مسلمين ، من أمثال المؤرخ اللبناني : أسد رستم ، الذي يقول في مقدمة كتابه «مصطلح التاريخ» عن رسالة في مصطلح الحديث للقاضي عياض : (إن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان : «تحري الرواية والمجيء باللفظ» ، يضاهي ماورد في الموضوع نفسه في كتب الفرنجة في أوربا وأمريكا . . وبعض القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرها علماء أوربا فيما بعد في بناء علم المنهجية «المثودلوجية» .

ولو أن مؤرخي أوربا في العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدِّثين لما تأخروا في تأسيس علم «المثودلوجية» حتى أواخر القرن الماضي . . فنؤكد لهم أن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا ، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده . .)[1] .

---

(١) انظر : لماذا يزيفون التاريخ - اسماعيل الكيلاني - ص : ٣٠٠، ٣٠١ .


الصحابة
بين
الغلو والافتراء

نبدأ مناقشة الشبهات من الفرية القائلة: إننا نغلو في صحابة النبي الكريم - رضوان اللَّه عليهم-.. ونستهلها ببيان مصطلح «الصحابة».

قال الشيخ محمد أبو شهبة -رحمه اللَّه-[1]:

الصحابي -في عرف العلماء وأئمة الحديث- هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، فمن ارتد ومات على ردته بطلت صحبته، ومن تاب وعاد إلى الإسلام عادت إليه الصحبة على الأصح.. ومن أظهر الإسلام وأبطن الكفر من أهل النفاق فهو بمعزل عن شرف الصحبة، وقد تكفل اللَّه ورسوله بالكشف عن نفاق هؤلاء.

والجمهور من العلماء على أنه لا يشترط في الصحبة طول الوقت ولا الجهاد والإنفاق في سبيل الإسلام، وبعض العلماء اشترط في الصحبة طول الملازمة والمعاشرة، وأن يكون -الصحابي- غزا مع النبي ﷺ غزوة أو غزوتين.

---

(١) دفاع عن السنة -محمد بن محمد أبو شهبة- ص١٠٨.

ومع ذلك فإن الجمهور يرون أن من طالت صحبته بالنبي أو سمع منه أو غزا معه أو بذل نفسه وماله في نصرته، أحق بالفضل وأولى بالتقديم ممن ليس كذلك . . .

ومن ليس له منهم سماع من النبي فحديثه مرسل من حيث الرواية، وإن كان له شرف الصحبة.

وابن الأثير الجزري يتناول المسألة بصيغة أخرى، فيميز بين المعنى الوضعي للصحبة الذي ينطبق على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، والعرف الذي يخصص الاسم بمن كثرت صحبته، ويتم تحديد تلك الكثرة بتقريب لا بتقدير.

وقيل[1] : هو من اجتمع فيه الأمر السابق وأن تكون صحبته معه طالت على سبيل الأخذ عنه والاتباع له، لأن من أطال مجالسة العالم لا على سبيل الاستفادة والاتباع له لا يدخل في زمرة أصحابه.

وهو خلاف -كما ترى- بين الأصوليين وعلماء الحديث[2]، لا يؤثر في جوهر المسأله التي نبحثها.

---

(١) جامع الأصول -ابن الأثير- ١/ ١٣٤.

(٢) منهج النقد في علوم الحديث -د. نور الدين عتر- ص: ١١٦، ١١٧.

عدالة الصحابة

يعتقد أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول، ومعنى عدالتهم أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول اللّه ﷺ لما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط، فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم[1]، ولم يخالف في عدالتهم إلا شذاذ من المبتدعة وأهل الأهواء، الذين لا يعتد بأقوالهم وآرائهم لعدم استنادها إلى برهان[2].

فأين الغلو المزعوم في الصحابة، وهذا ابن تيمية يقول: الصحابة يقع من أحدهم هنات، ولهم ذنوب وليسوا معصومين لكنهم لا يتعمدون الكذب، ولم يتعمد أحد الكذب على النبي إلا هتك اللّه ستره[3].

(١) دفاع عن السنة - ١٠٩.

(٢) يشير ابن عبد البر إلى نقل الإجماع على عدالة الصحابة كذلك عن الزيدية والمعتزلة -انظر: منهج النقد في علوم الحديث- ١٢٢.

(٣) منهاج السنة- ١/ ٣٠٦، ٣٠٧.

صفاتهم في القرآن

إن مصدر القول بعدالة الصحابة، هو التزكيات السماوية لهم، فاللَّه -عز وجل- أخبرنا عن طهارتهم وأنهم خير جماعة بشرية -بعد الأنبياء-..

قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وحاش للَّه أن يختار شهداء زور يكذبون عليه -سبحانه- وعلى نبيه!!.

وقال - عز من قائل- : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه**﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولذلك قال فيها عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: (لو شاء اللَّه لقال: «أنتم» فكنا كلنا، ولكن قال: «كنتم» خاصة في أصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس)[١].

بل إن شمائل الصحابة مذكورة في رسالات أنبياء سابقين:

(١) حياة الصحابة -محمد يوسف الكاندهلوي- ١/ ٤٥.

﴿محمد رسول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[الفتح: ٢٩].

وعقب غزوة العسرة -أو تبوك- وهي آخر غزاة للنبي ﷺ، نزل قول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿لقد تاب اللّه على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾[التوبة: ١١٧].

وخص اللّه أهل بيعة الرضوان بتزكية عظيمة: ﴿لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان اللّه عزيزاً حكيماً﴾[الفتح: ١٨-١٩].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي اللّه عنهم

ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[التوبة: ١٠٠]، وهذا نص قاطع إذ يتضمن ثناء صريحاً على التابعين للصحابة بإحسان، وشتان بين أمر اللَّه باتباعهم، وافتراء الحانقين عليهم بما يناقض النصوص القطعية في ثبوتها وفي دلالاتها!!

وهناك آيات أخرى تصف المهاجرين بالصدق والأنصار بالفلاح، فهل يسوغ لمؤمن أن يتهم بالكذب من نعتهم اللَّه بهذه النعوت؟..

يقول -تعالى-: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من اللَّه ورضواناً وينصرون اللَّه ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[الحشر: ٨-٩].

وهنا يتأكد معنى موالاة الصحابة مرة أخرى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف

رحيم﴾[الحشر: ١٠].

ومع الأمر بالاتباع، فإن المكانة مختلفة، لأن شرف الصحبة والجهاد مع رسول اللَّه ﷺ لم يحظ به سوى من اختارهم اللَّه لصحبة نبيه وإبلاغ رسالته إلى العالمين.. ولذلك يكثر المقربون في الجنة من بين الصحابة، ويقل العدد ممن بعدهم، أما أصحاب اليمين فكثير من هؤلاء وأولئك:

﴿**والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين**﴾[الواقعة: ١٠ - ١٤].

أما أصحاب اليمين فهم: ﴿**ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين**﴾[الواقعة: ٣٩-٤٠].

ويكفي للدلالة على ذلك كله قوله -تعالى- مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك اللَّه هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾[الأنفال: ٦٢ - ٦٣].

إن الوفاة مع الأبرار نعمة أمرنا اللَّه أن نسأله إياها [آل

عمران: ١٩٣] فكيف تكون نعـه الحياة مع سيد الأبرار كافة ﷺ ونصرته بالنفس والمال؟!..

ويبقى من شنشنة المرجفين، التطاول على الذين أسلموا بعد فتح مكة، مع أن الإسلام يَجبُّ ما قبله: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف.... الآية﴾[الأنفال: ٣٨].

وبخاصة أن كثيراً منهم حَسُن إسلامهم وجاهدوا مع النبي ﷺ ومع خلفائه الراشدين، وهؤلاء وعدهم اللَّه الحسنى، ولو أنهم دون الذين آمنوا وجاهدوا وأنفقوا من قبل الفتح:

﴿....**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد اللَّه الحسنى واللَّه بما تعملون خبير**﴾[الحديد: ١٠].

ولقد حصلت المودة معهم بعد العداوة تحقيقاً لوعد إلهي:

﴿**عسى اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة واللَّه قدير واللَّه غفور رحيم**﴾[الممتحنة: ٧].

ومما يؤكد عدم غلونا في الصحابة، أن أهل العلم صنفوهم طبقات بحسب النصوص الواردة في كل فئة، مع أن للجميع شرف الصحبة وسمة العدالة [عدم تعمد الكذب على الشارع].

يقول ابن حزم: نقول بفضل المهاجرين الأولين من بعد عمر قطعاً إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه، يليهم أهل العقبة فأهل بدر، فالمشاهد كلها -أي: الغزوات مع النبي ﷺ- مشهداً مشهداً، وأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذي بعده حتى يبلغ الأمر إلى أهل الحديبية، فهؤلاء كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة(١).

ويقول عبد القاهر البغدادي(٢): وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول اللّه ﷺ بدراً من أهل الجنة، وكذلك كل من شهد أُحُداً غير قزمان الذي استثناه الخبر، وكل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية...

وصنَّف علماء آخرون الصحابة في اثنتي عشرة طبقة، ومما

---

(١) السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام -د. محمد لقمان السلفي- ص: ٢٣٤.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق - ٣٥٣.

يشهد لعلماء السلف بورعهم في مسألة آل البيت وبني أمية، أنهم جعلوا علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه في الطبقة الأولى، أما مسلمو الفتح (ومنهم: معاوية بن أبي سفيان) ففي الطبقة الحادية عشرة[1].

حفظٌ للدين

قال الحافظ الكبير أبو بكر بن الخطيب البغدادي: .... على أنه لو لم يَرِدْ من اللّه -عز وجل- ورسوله فيهم -أي: الصحابة- شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها- من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين- القطع بعدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدِّلين والمزكِّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

وقال الإمام أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللّه ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن

(١) منهج النقد في علوم الحديث - ص: ١١٩ - ١٢٠.

أصحاب رسول اللَّه، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أوْلى، فهم زنادقة».

* * *

فالحقيقة الناصعة هي أن عدالة الصحابة أمر لازم لحفظ الإسلام، لأنهم بلغوا الكتاب والسنة إلى من بعدهم، ولذلك سعى أعداء الإسلام إلى الطعن في مصدريه الثابتين: القرآن والسنة، من خلال الطعن في الصحابة والتشكيك في عدالتهم، حتى وصل بهم الحقد إلى القول بفشل النبي ﷺ في دعوته -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً-، في حين يأتي كاتب غير مسلم يدعى: مايكل هارت، في القرن الحالي حيث أمة الإسلام في أسوأ حالاتها، ليصنف كتابه «المئة الأوائل» حول أكثر ١٠٠ شخصية تأثيراً في التاريخ الإنساني فيضع الرسول ﷺ على رأس تلك الشخصيات.

إنهم يفترون الكذب على حقائق التاريخ المتواترة، التي شهد بها العدو والصديق، فالصحابة الذين تربوا في مدرسة النبوة هم الذين وصلوا برسالة الإسلام إلى أنحاء المعمورة، أما أعداؤهم فهم الذين مزقوا الأمة وأسلموها لأعدائها، وشوهوا

تاريخها، وافتروا على أشرف صانعيه؛ الذين قال اللّه فيهم: ﴿**وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[النور: ٥٥].

وهل عرفنا التمكين إلا على يد الصحابة وتابعيهم بإحسان؟

على أن فريقاً أشد مكراً يقولون: القرآن كله صحيح دون زيادة ولا نقصان، ويشككون في السنة، متجاهلين أن ناقلي القرآن هم أنفسهم ناقلو السنة، وأن السنة مكملة للقرآن ومبينة له:

﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم**﴾[النحل: ٤٤].

وليس بين الصحابة - ثم من تبعهم بإحسان- إجماع أكثر قطعاً ووضوحاً من الإجماع على صحة النص القرآني وعلى حجية السنة.

كما أن كثيراً من أساسيات الدين لم نعرف تفاصيل أحكامها إلا من السنة[1] ، ومنها -للتمثيل لا الحصر- : عدد الصلوات وعدد ركعات كل صلاة، وشروط الصلاة وأركانها ومبطلاتها، وأنصبة الزكاة، و . . . . ألم يقرأ هؤلاء قول الحق سبحانه: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[المائدة: ٣]، فقال: أكملت لكم دينكم، ولم يقل: اليوم أكملت لكم القرآن، فالدين قرآن وسنة.

وليس يُعْقَلُ أن يحفظ اللَّه كتابه الكريم، دون السنة، وكلاهما وحي من اللَّه، والسنة ضرورية لتحقيق وتنفيذ ما جاء به القرآن، والفارق بينهما أن القرآن موحى به من اللَّه نصاً، أما السنة فموحى بها من اللَّه بالمعنى، واللفظ من عند رسول اللَّه، ولذلك كان القرآن متعبداً بتلاوته . .

---

(١) للاطلاع على تفنيد علمي مفصل وحاسم لأباطيل منكري السنة، يرجع إلى الكتب التاليه:

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - مصطفى السباعي.
- دفاع عن السنة -محمد أبو شهبة.
- السنة: حجيتها ومكانتها في الإسلام - د. محمد لقمان السلفي.
- إسلام آخر زمن -منذر الأسعد [وبخاصة الفصل الثاني من الجزء الثاني].

إنَّ الزعماء من بني البشر -ولله المثل الأعلى- يتبادلون رسائل تحريرية وأخرى غير مكتوبة يبلغها مندوب موثوق به تبليغاً شفوياً، فكيف يجيز المرجفون على علام الغيوب -عز وجل- أن يحفظ بعض الوحي ويدع الآخر عرضة للتزوير، مع أنهما كليهما دين، هو الرسالة الخاتمة لكل زمان ومكان؟

* * *

والرسالات السابقة؟!

وكيف يدع الله بعض الوحي في الرسالة الخاتمة نهباً للتحريف والتزييف، مع شدة النكير منه -سبحانه- في القرآن على الأحبار والرهبان الذين حرفوا رسالات أنبيائهم؟!.. تعالى الله عما يفتري الظالمون.

وهنا يبرز سؤال وجيه: لِم لَمْ يحفظ الله الرسالات السابقة على بعثة نبينا محمد ﷺ مع أنها منزلة من عنده -سبحانه وتعالى-؟.. والجواب هو: أن الرسالات السابقة كانت محدودة في الزمان وفي المكان، ولذلك حفظها -عز وجل- في حدود إبلاغها للمرسل إليهم لتقوم عليهم الحجة.. وهذا دليل

آخر على أن أصحاب الأنبياء جميعاً لا يفترون الكذب على الوحي، فلم ترد في القرآن إشارة سلبية إليهم(*)، وقد ثبت تاريخياً أن تحريف التوراة والإنجيل وقع بعد كل من موسى وعيسى -عليهما السلام- على التوالي- بسنين طويلة وعلى أيدي آخرين من غير أصحابهما المبلغين عنهما!!.

ولهذا فإن رسالة محمد ﷺ محفوظة مطلقاً، لأنها للثقلين كافة منذ بعثته إلى قيام الساعة..

ولنلحظ هنا أن البشارات الإلهية في التواراة والأنجيل ببعثة محمد ﷺ ظلت فيهما ونَجَتْ من الطمس والتحريف، على الرغم من انقضاء قرون على تلاعب الأحبار والرهبان فيهما، وذلك لتقوم الحجة الإلهية على أتباعهما:

﴿**الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾[البقرة: ١٤٦]. وفي تصريح ببقاء البشارات مكتوبة:

﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً**

(*) في حين تتضح لنا صورة من عصيان بعض أقرب الناس نسباً إلى الأنبياء الكرام (مثل: ابن نوح وامرأته ووالد إبراهيم وامرأة لوط...).

عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبت ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[الأعراف: ١٥٧].

ليست في كتاب اللّه!!

وتستوقفنا ظاهرة قرآنية مهمة تؤيد ماذهبنا إليه.. فلقد تعدد الآيات التي تحدثنا عن أخطاء بدرت من الصحابة، وليس من بينها الافتراء على الوحي، بل إن في القرآن معاتبات من اللَّه لخاتم أنبيائه ورسله بسبب اجتهادات منه ﷺ اختار فيها غير الأمثل[*] [مثل: اختياره عدم قتل الأسرى المشركين في بدر، وإعراضه عن ابن أم مكتوم لمصلحة رآها هي دعوة بعض من رموز الكفر إلى الإيمان...]... فكيف يُعاتَبُ خير الخلق في مواقف كان اجتهاده فيها بخلاف الأمثل في حقه ﷺ، مع أنه

(*) من الجهل أو سوء الأدب، أن بعض الكاتبين يسميها «أخطاء» أو «مخالفات»، والخطأ والمخالفة لا يكونان إلا بعد نزول نص، في حين أن اجتهادات رسول اللَّه ﷺ التي عوتب بشأنها كانت -جميعاً- قبل نزول النصوص المبينة للأمثل فيها.. فالنبي معصوم من مخالفة الوحي..

ليس فيها حكم إلهي سابق وينجو -حتى من العتاب!!- الذين يكذبون على الوحي؟.. تعالى اللّه عما يقولون..

وفي أي عقول يجوز أن يُبَيِّنَ القرآن كثيراً من أخطاء الصحابة الناتجة عن ضعفهم البشري، من كبراها كمخالفة الرماة أوامر الرسول ﷺ في أُحُد، واغترارهم بكثرتهم في حنين وعدم ثبات كثير منهم في تلك الغزاة... إلى صغراها كمناداة النبي من وراء الحجرات!!!

كيف يجوز أن يبين القرآن كل ذلك صقلاً لجماعة المؤمنين وتربية لمن جاء بعدهم، ولانرى أثراً لموقف واحد يتصل بصلب الرسالة ألا وهو: عدم الأمانة -المزعوم- في إبلاغها؟...

سيقول المرجفون: نحن نتهم المنافقين بذلك، فهم كافرون أظهروا الإسلام.. ونقول: حسناً، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين... فعلى كثرة الآيات التي تفضح المنافقين وتعرّي ظاهرة النفاق، فإنه ليس في كتاب اللّه حالة واحدة تدل على أن المنافقين استطاعوا الكذب على النبي فبلغوا عنه نصاً مختلقاً!!.

إن خلو صحيفة المنافقين السوداء القاتمة كلها، من الكذب على الوحي، تشهد لما أعتقده -يقينا- من أن عدالة الصحابة هي

حفظ للدين وليست مجرد شرف شخصي لهم.. فالوحي محفوظ -كتاباً وسنة-، فلا الصحابة يكذبون، ولا المنافقون قادرون على الكذب في هذا الميدان تحديداً.. وكل الفرق أن ذلك للصحابة شرف رفيع، أما المنافقون فلا كرامة لهم، لأنهم محجوزون عن هذا الميدان قسراً، ولو استطاعوا لما ترددوا لحظة واحدة..

لم يتهم بعضهم بعضاً

ثمة احتمال آخر يجدر بنا أن نتفحصه بالنيابة عن المفترين الذين لم يقدموا إثباتاً واحداً على نظريتهم الفاسدة... وهو أن يكون أي صحابي اتهم صحابياً آخر -ولو مرة واحدة- بأنه يكذب ويضع الحديث على النبي ﷺ... علماً بأنهم لو عثروا على حالة كتلك -ولن يعثروا- فإنها لا تكفي دليلاً، لأن الصحابي ليس معصوماً من أن يصدر عنه اتهام لغيره، ويتضح أنه ليس صحيحاً..

ولن نتوقف عند افتراءات أحمد أمين في «فجر الإسلام» من أن الصحابة كانوا يكذّب بعضهم بعضاً، فقد دحضها

الدكتور السباعي بمنطق سديد، وأوضح أنه استدراكات علمية[1] .

أما ما بلغنا من أخطاء للصحابة فإنه لا يخلو من احتمالين، أولهما: ما زعمه مبغضوهم وهو مجروح عند عقلاء البشر قاطبة -مسلمين وغير مسلمين-، والآخر: ما نقله عنهم محبوهم والموالون لهم من التابعين، وهو شهادة إضافية على صدق الصحابة مع أنفسهم، كما أنه -في الوقت ذاته- دليل على عدم غلونا فيهم، وإلا لطمسنا تلك الروايات.. وأخيراً، نأتي إلى مسلمة الفتح، فالقلائل منهم هم الذين تحملوا من السنة مثلما تحمل الصحابة الملازمون للرسول ﷺ من قبل.. والذين تعرضوا من مسلمي الفتح للرواية مثل: حكيم بن حزام وعتاب وغيرهما فقد عُرِفوا بالصدق والديانة وغاية الأمانة[2] !!

---

(١) السنة ومكانتها -السباعي- مرجع سابق- ص: ٢٦٢-٢٦٦، ٣٠٩ .

(٢) السنة: حجيتها ومكانتها -السلفي- مرجع سابق- ٢٣٥ .

كيف بقيت فضائل علي؟

إن السنة محفوظة إلى قيام الساعة، فلم يكن حفظها مقصوراً على العهد النبوي أو عصر الراشدين فحسب . . والمجال لا يتسع للتفصيل، وأعيد القارئ الكريم إلى شهادة أسد رستم من قبل . . . وأكتفي في هذه العجالة بدليلين تاريخيين حاسمين:

١ - أن شيعة الإمام علي لم يحكموا من بعده في القرنين الهجريين الأول والثاني، وهما القرنان اللذان شهدا أوسع جهد علمي في علم مصطلح الحديث النبوي رواية ودراية . . بل إن خصومهم السياسيين من بني أمية وبني العباس هم الذين تولوا زمام السلطة، وفي كثير من تلك الفترات كان الصراع السياسي بين الطرفين ساخناً ولقي الشيعة عنتاً كبيراً . . . وعلى الرغم من ذلك ظلت كتب السنة ملأى بالروايات الكثيرة الصحيحة عن فضائل علي رضي اللّه عنه، فما الذي منع خصومه السياسيين من طمس تلك الروايات، لو كانت الصورة الشائهة التي يرسمها المغرضون لأمتنا في عصرها الذهبي:

علماء وحكاماً ومحكومين صحيحة؟!

أليس فيهم رجل رشيد يسأل: كيف يكون الذي انتقل إلى جوار ربه وانحسرت السلطة عن ذريته مبشَّراً بالجنة، ولا يستطيع معاوية أن يدس -جدلاً- رواية واحدة تبشره هو بالجنة؟!!..

إن معاوية مات، وعدد كبير من الصحابة أحياء، وكثير منهم لم يكونوا من مؤيديه، فهل اتهمه أحد منهم بوضع الحديث على النبي؟!

٢ - في عهد الخليفة العباسي المأمون ظهرت بدعة القول بخلق القرآن، على أيدي المعتزلة وبدعم رسمي من الدولة... وكان لثبات الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه- في وجهها الأثر الأكبر- بعد فضل اللَّه- في انطفائها، بعد سنوات من السجن والتنكيل...

والسؤال الوجيه الذي يلح هاهنا: كيف عجزت دولة الخلافة بقوتها المعنوية والمادية عن دس حديث واحد يشهد لبدعتها؟!..

بل إن الأبلغ من ذلك، أن أهل الحديث نسفوا رواية

مكذوبة على النبي ﷺ ، مع أنها تشهد لموقفهم في تلك المحنة!!

نعم، المحاولات للدس والافتراء حصلت، لكن الأمر المؤكد هو أنه مامن أحد كذب على الرسول ﷺ ، إلا هتك اللّه ستره!!

أأمثال هؤلاء يكذبون؟!

إن الشواهد على الصدق التام للصحابة أشهر من أن تروى، وأغزر من أن تحصى. . . وإذا كان في الأمة حتى في أسوأ مراحل تاريخها، أناس يتورعون عن الكذب في محادثتهم الآخرين ولو بالمزاح، فكيف كان الصحابة الذين تخرجوا في مدرسة النبوة؟ وكيف بهم إذا كان الأمر يتصل بخبر السماء؟!!. .

إن الكذب -كما ثبت في الحديث الصحيح- أخطر من الزنى ومن السرقة -على فظاعتهما-، ويكفي أنه خصلة تعادل ثلث علامات النفاق -أو ربعها-.

إن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا صورة أمينة عن حياتهم بسموها الغالب، وخللها النادر. . . ومنهم عرفنا من ثبت في

الغزوات ومن فر من المعركة، ومن غلبه ضعفه البشري فكتب إلى قريش عن تحركات الرسول ﷺ واستعداداته العسكرية[1]. . . .

ونأخذ نماذج فحسب. . أخرج الشيخان حديثاً لعبد اللَّه بن مسعود قال: «صليت مع رسول اللَّه ﷺ فأطال حتى هممتُ بأمر سوء. قيل: وما هممت به؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعه»!!.

سبحان اللَّه. . أي نفوس سامية كانت نفوسهم!!. . . إن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه- لو لم يسرد على الناس ماجرى له

(١) مثل: حاطب بن أبي بلتعة، وهي واقعة تشبث بها صاحبنا -على غرار من سبقوه- للطعن في الصحابة، مع أنها -عند التأمل- حجة لنا عليهم. . فقد كان رد الرسول صلى اللَّه عليه وسلم على عمر لما أراد قتل حاطب جزاء له على فعلته: وما يدريك لعل اللَّه اطلع على أهل بدر فقال: اصنعوا ما شئتم؟ -أو كما قال صلى اللَّه عليه وسلم-. . فهذا الاستثناء دليل على مكانة الصحابة السامية، وأن الذين جاؤوا بعدهم لن يصلوا إلى مرتبتهم مهما فعلوا. . . فليس لمسلم بعدهم أن يكتب إلى أعداء المسلمين عن أسرارهم العسكرية متذرعا بما وقع من حاطب، لأنه -في الأقل- ليس من أهل بدر!!!.

ومن تناقضات صاحبنا وأمثاله أنهم يختارون الروايات بالتشهي، وإلا لتعين عليهم -وفق أباطيلهم- رفض قصة حاطب تماماً، فالذين نقلوها إلينا هم من الصحابة!! وهؤلاء يشككون في عدالتهم!!

مما لا يعلمه إلا اللّه، لما أخطأ، لأنه ليس حكماً شرعياً يأثم بكتمانه. لكنه الإخلاص للّه في ذاره العالية.. فهل مثل هؤلاء يرتضون الكذب في تبليغ النصوص الموحى بها؟ واللّه إن الذي يفتري عليهم ذلك البهتان هو الكذوب، وكل إناء بما فيه ينضح...

والأنموذج الآخر نأخذه من سعد بن أبي وقاص -رضي اللّه عنه- وهو -بالمناسبة- ممن اعتزلوا الفتنة، يروي أنه نال ورجلين معه من علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- فأقبل النبي ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغضب، فتعوذت باللّه من غضبه فقال: «مالكم ومالي؟ من آذى علياً فقد آذاني»[1]..

وهذا عمر -رضي اللّه عنه- يروي فضائل عظيمة في أبي بكر -رضي اللّه عنه- ويقول: إن عمل يوم وليلة من أبي بكر خير من كل ما فعله عمر[2]..

وهاهو عمار بن ياسر رضي اللّه عنه الذي انحاز إلى صف علي في جميع مواقفه منذ تولى الخلافة، يقول في موقعة الجمل

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٤٤٩.

(٢) جامع الأصول: ٨/ ٥٩١، ٦٠٥.

عن عائشة -رضي اللّه عنها- : إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن اللّه ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[1] . . . فالخلاف الذي بلغ حد الاقتتال، لم يجعله ينكر ما يعلمه انتصاراً لموقفه . .

ويأتي ابن عباس - رضي اللّه عنهما- إلى الفاروق يسأله عن زوجتي النبي ﷺ المخاطبتَيْن بقوله تعالى: ﴿**إن تتوبا إلى اللّه فقد صغت قلوبكما**﴾[التحريم: ٤]، قال الزهري: كره -واللّه- ما سأله عنه ولم يكتمه فقال: هما عائشة وحفصة[2]!!.

أجل . . إنه بشر، وحفصة ابنته، لكن الأمانة في إبلاغ العلم الشرعي أكبر من العواطف عندهم. . . ولذلك لم يكتمه!!.

ونعيش الأجواء العبقة ذاتها مع أم المؤمنين عائشة -رضي اللّه عنها- إذ يقول جميع بن عمير التميمي: دخلتُ مع عمتي على عائشة، فسُئلتْ: أي الناس كان أحب إلى رسول اللّه ﷺ

(١) المرجع السابق: ١٠/ ٧٤، ٧٥ .
(٢) المرجع السابق: ٢/ ٤٠٠ وما بعدها .

؟ قالت : فاطمة . قيل : من الرجال؟ قالت : زوجها ، إن كان ما علمتُ صواماً قواماً -أخرجه الترمذي وإسناده حسن- .

هذا مع أن الود بين علي وعائشة -رضي اللّٰه عنهما- لم يكن عامراً!! . ولنلاحظ أن كل ما سبق -وهو غيض من فيض- رواه أئمة الحديث المفترى عليهم أنهم يبغضون آل البيت!!! . .

التزام السنة

ونقتبس شواهد فحسب ، تؤكد التزام الصحابة سنة نبيهم ﷺ التزاماً لا تردد فيه . .

وأول ما يطالعنا أعظم أحداث التاريخ الإسلامي خطراً ، بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى جوار ربه ، حيث ارتد أكثر العرب ، وغدا المسلمون أقلية غير مرهوبة الجانب في مكة والمدينة ، وحيث رأى كثير من الصحابة أن يقبل الخليفة الأول أبو بكر الصديق -رضي اللّٰه عنه- من مانعي الزكاة إقامتهم الصلاة وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فإذا بأبي بكر اللين

العريكة، الرقيق القلب، أسد هصور يأبى المهادنة مع أن جميع الظروف ضده، وهو موقف مشرف إذ لولا اللَّه -ثم أبو بكر- لاندثر الإسلام، ومع ذلك فإن الحاقدين على الصحابة يذمونه عليه ويذودون عن المرتدين، وآخرهم علي عبد الرازق السارق عن غلاة المستشرقين، وتابعه على عمى بصيرته: حسين أحمد أمين.

مايهمنا هنا، أن رأس المعترضين على المواجهة عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علامَ تقاتل الناس، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: واللَّه لو منعوني عُناقاً -وفي رواية: عقالاً- كانوا يؤدونه إلى رسول اللَّه ﷺ، لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، واللَّه لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة... الحديث [رواه الجماعة إلا ابن ماجة من حديث أبي هريرة].

فالموقفان -كما هو ثابت- ينطلقان من نص نبوي واحد، غير أن فقه أبي بكر له كان هو الصواب، وذلك هو سر انتقال

الصحابة عن موقفهم الأول إلى جهاد المرتدين ومانعي الزكاة حتى كتب اللَّه لهم النصر . . ولو كانت المسألة سياسة بمفهومها الغربي اللاديني، لكان قرار أبي بكر انتحاراً، ولأجبرته الغالبية على التزام ماتراه . .

ومثل ذلك -من حيث الدلالة- تمسك أبي بكر بإنفاذ جيش أسامة، الذي عقد لواءه الرسول ﷺ قبيل وفاته، فتريث أسامة في المسير ليطمئن على حال النبي الذي لم يلبث أن لحق بالرفيق الأعلى.

أصر أبو بكر، برغم أن عقد اللواء لأسامة[1] من النبي ﷺ تم بصفته إماماً لا بصفته نبياً، فإنفاذ جيش أسامة ليس نصّاً من الرسالة . . .

إلى هذا الحد بلغ تشبث الصحابة بالسنة النبوية المطهرة . .

ومثال آخر نراه في نهج الإمام علي -رضي اللَّه عنه- لما وجَّه ابن عباس إلى مناظرة الخوارج إذ قال له: عليك بالسنة فإن القرآن حمّال أوجه[2].

---

(١) لتفصيلها انظر: في التاريخ الإسلامي/ فصول في المنهج والتحليل- د. عماد الدين خليل: ص ١٨.

(٢) تاريخ الجدل -محمد أبو زهرة- ١٥٤، ١٦٨.

وفي كتاب التحكيم بينه وبين معاوية «إننا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره. وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرِّقة»[1].

والموقف الجلي نفسه، يعلنه الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- في خطبته أمام جيشه، إذ يعرض دوافعه إلى الخروج على يزيد بن معاوية، يقول: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر»[2].

---

(١) تاريخ الرسول والملوك -ابن جرير الطبري- ٤/ ٣٨.
(٢) المرجع السابق: ٤/ ٣٠٤.

يتسم موقف أهل الحديث من الكذب بالحزم المطلوب شرعاً، والمكافئ لخطورة هذا الجرم الفظيع . . ولذلك رفضوا خبر من كان فسقه بسبب كذبه في حديث الناس، وإن توقى الكذب في الحديث النبوي، إذ لا يُؤْمن وقوعه فيه بسبب استهتاره بمقام ربه -والعياذ باللَّه- .

وإذا كانوا يقبلون رواية التائب من الكذب في حديث الناس، فإنهم يرفضون رواية التائب من الكذب متعمداً في الحديث النبوي (ذكره غير واحد من أهل العلم، منهم: أحمد ابن حنبل وأبو بكر الحميدي -شيخ البخاري-)[1] .

وهذا يقودنا إلى مسألة أخرى، كثر لغط صاحبنا حولها، هي روايات المبتدعين المخالفين لأهل السنة والجماعة . .

بدءاً، فإن علماء الحديث رفضوا مرويات غلاة الشيعة في علي، وغلاة البكرية في أبي بكر، وغلاة العثمانية في عثمان،

(١) منهج النقد في علوم الحديث: ٨١ - ٨٤ .

ومرويات المتعصبين للأمويين في بني أمية وللعباسيين في بني العباس[1] . . . أما في المرويات العامة -في غير الفضائل لمن يتعصب الراوي لهم- فإنهم قبلوا روايات المبتدع إذا كان عدلاً ضابطاً، مالم يكن داعية إلى بدعته، فذاك مستعد للتحريف انتصاراً لدعوته[2] .

قال ابن المدني: لو تركتُ أهل البصرة للقدر -يعني: الاعتزال- وأهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب[3] . . وقال الذهبي في الميزان: أبان بن تغلب، شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، ونقل توثيقه عن أحمد وغيره. . . ويعلل هذا الموقف النزيه، بأن البدعة الصغرى كغلو التشيع أو التشيع بلا غلو ولا تحرُّق، كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة[4] .

إنها عند علماء الحديث -كما ترى- قضية دين، وليست

(١) السنة ومكانتها -السباعي: ٢٧٥ .

(٢) منهج النقد في علوم الحديث: ٨٤ .

(٣) اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً -د. محمد لقمان السلفي: ص ١٩٨، ١٩٩ .

(٤) المرجع السابق - ص: ٢٠١ .

مسألة مواقف مسبقة مثلما يزعم المر ـفون المفترون . . ولذلك لم يقبلوا -مثلاً- جرح الجوزجاني لأهل الكوفة، بسبب نصبه (بغضه لعلي) وشدة انحرافه[1] !!

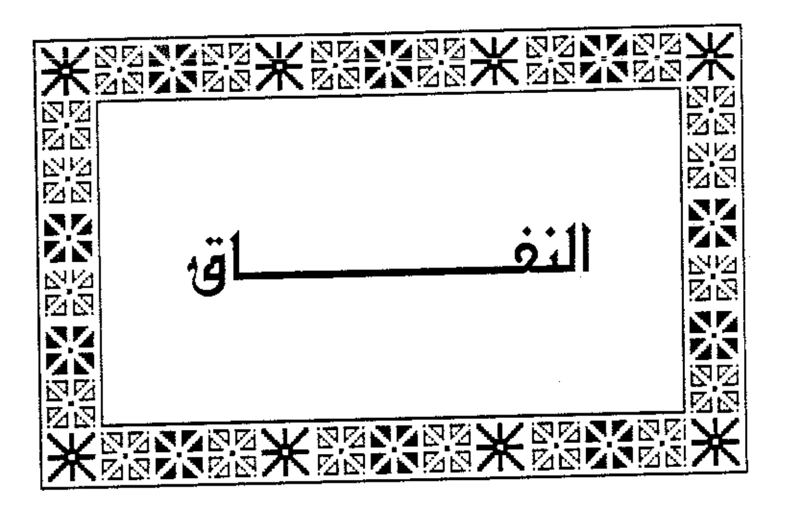
إن الورع لدى السلف من حفظة السنة الشريفة، جعلهم يشهدون بالحق لخصومهم من المبتدعين والضالين، فقالوا: إن الخوارج هم أقل الفرق كذباً، وهو ما أكده أبو داود وشيخ الإسلام ابن تيمية[2] ، وذلك لأن الخوارج يبالغون في ذم الكذب عموماً ولذلك يقولون بكفر الكاذب- ولو أن هذا التكفير بدعة تصطدم بالنصوص القرآنية والنبوية- . .

وتكفي شهادة ابن أبي الحديد في شرحه لـ «نهج البلاغة»، إذ يقول: «اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة . . . . وقد قابلهم جهلة أهل السنة بالوضع أيضاً» . . . وقيمة هذه الشهادة نابعة من كون صاحبها شيعياً معتزلياً، ومن أن الذين ردوا على الوضع هم جهلة أهل السنة لا علماؤهم الذين رفضوا كل الموضوعات بصرف النظر عن هوية مصدرها!!.

---

(١) قواعد في علوم الحديث -التهانوي- ص: ٤٢٨ .

(٢) السنة ومكانتها - السباعي: ٨١ - ٨٣ .


النفـــــاق

تذرع «صاحبنا» بأسماء المنافقين التي خص رسول اللَّه ﷺ بها الصحابي حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه-، فهي دليل -عنده- على أنه لم يكن من مخلوق -بعد النبي- يعرف المنافقين بأعيانهم سوى حذيفة، وأن سؤال عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- لحذيفة عن اسمه هل ورد بين الأسماء التي استودعه رسول اللَّه كتمانها، يؤكد استحالة تمييز المؤمن الحقيقي من المنافق، فالجميع - في الظاهر - مسلمون . .

* * *

منطقياً يمكن إفحام هذا المنطق الأعرج في يسر . . فهي -في النهاية- رواية، وهؤلاء يشككون في المرويات جملة، فكيف يستقيم التشكيك في السنة مع قبول مايريدون بالهوى والتشهي؟ . .

بل إن منهجهم المخالف لكتاب اللَّه وسنة نبيه، بل حتى لبدهيات العقول، يلزمهم بالمضي في شكهم السقيم إلى آخره،

فما الذي يمنع -وفقاً له- أن يكون حذيفة -وحاشاه- من فئة المنافقين، ويريد بث الفرقة في الجماعة المسلمة. . . إلى آخر تلك الأوهام المؤسسة على شفا جرف هار؟!. .

ومن الناحية المنطقية: ألا يعرف الفاروق -رضي اللَّه عنه- عن نفسه أنه لا يبطن الكفر بل إنه مؤمن حقّاً؟. . أليس سؤاله دليلاً على ورع عظيم وحس إيماني مرهف وليس نتيجة شك في يقينه المستقر في فؤاده وعقله وروحه؟!.

أو لا يدري أن في سجله تزكيات وبشارات نبوية لم يظفر بأكثر منها سوى أبي بكر الصديق؟!. . . إن رسول اللَّه -أصدق المخلوقين- كان يسأل اللَّه لساناً صادقاً، فهل يفهم التائهون منها مافهموه من سؤال عمر لحذيفة -والعياذ باللَّه-؟!!

ونسأل هؤلاء المتخبطين: إذا كان الصحابة الذين شاهدوا كثيراً من مواقف النفاق وعلامات أهله، لا يعرفون -باستثناء حذيفة - أعيان المنافقين، فهل يعرفهم المرجفون بعد أربعة عشر قرناً؟

إن أمر السرائر ليس من شأن البشر، ومن أظهر الإيمان

واعتاد المساجد ولم يرتكب ما ينقض الإيمان، نشهد له بالإيمان، أما حقيقته فأمرها إلى علام الغيوب -سبحانه-. . . ولا يجوز لنا التشكيك فيه بالهوى والظن والرجم بالغيب. .

وسؤال جوهري آخر: لوكانت أسماء المنافقين ذات صلة بإبلاغ الرسالة، فهل كان النبي ﷺ المرسل رحمة للعالمين، يستأثر حذيفة بها ويستأمنه أن يكتمها؟! . . . من أجاب بـ: نعم، فقد كفر. . لأن النبي ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ولم يكتم من أمر الدين شيئاً -وحاشاه-.

افتضاح المنافقين

إن «صاحبنا» تمسك بلائحة أسماء المنافقين لدى حذيفة، وتجاهل كل ماعداها من نصوص في كتاب اللّه -عز وجل- وسنة رسوله ﷺ، وهذا ليس مسلك طلبة العلم الباحثين عن الحق. .

فالمنافقون لم يكونوا مجهولي الأعيان في كل مراحل البعثة النبوية في العهد المدني، إذ كان سلوكهم في مواقف الامتحان

يفتضح حقيقتهم، إنفاذاً لوعد من اللَّه -سبحانه-: ﴿ما كان اللَّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان اللَّه ليطلعكم على الغيب...الآية﴾[آل عمران: ١٧٩].

وهو قد تكرر في قوله -عز من قائل-: ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾[الأنعام: ٥٥]. وفي قوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا باللَّه فإذا أوذي في اللَّه جعل فتنة الناس كعذاب اللَّه ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس اللَّه بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن اللَّه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾(العنكبوت: ١٠-١١].

فاللَّه -عز وجل- يعلم حال الجميع من قبل أن يخلقهم، ولذلك فالمراد هنا بالعلم: علم حجة ظاهرة.. وهذا قد تحقق إذ فضحتهم خصائص عامة لهم، ثم أصبحت مشخصة في الأزمات ومواقف المفاصلة التي لا تقبل الحلول الوسط.. فمن أبرز صفاتهم في كتاب اللَّه:

- ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾[التوبة: ٥٤].

- ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

- ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾[آل عمران: ٧].

- ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ [النساء: ١٤١-١٤٣].

- ﴿لو كان عَرَضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون * عفا الله عنك لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[التوبة: ٤٢-٤٩].

- ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾[التوبة: ٥٦].

- ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[التوبة: ٥٨].

- ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن...﴾ [التوبة: ٦١].

- ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب أقل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾(التوبة: ٦٥].

- ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾[التوبة: ٦٧].

- ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾[التوبة: ٧٥-٧٦].

- ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾(التوبة: ٧٩].

- ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين * فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله

وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون* فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك اللّه إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين* ولا تُصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا باللّه ورسوله وماتوا وهم فاسقون* ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد اللّه أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا باللّه وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾[التوبة ٨٠-٨٦].

- ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام اللّه قل لن تتبعونا كذلكم قال اللّه من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾[الفتح : ١٥].

- ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا اللّه من أخباركم...﴾[التوبة : ٩٤].

- ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب اللَّه ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى واللَّه يشهد إنهم لكاذبون﴾[التوبة: ١٠٧].

- ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن اللَّه وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم واللَّه أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[آل عمران: ١٦٦-١٦٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾[المجادلة: ٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب اللَّه عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[المجادلة: ١٤].

- ﴿وإذا دُعُوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ٭ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ٭ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللَّه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ٭ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ [النور: ٤٨-٥١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان اللَّه بما تعملون بصيراً ٭ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللَّه الظنونا٭ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ٭ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اللَّه ورسوله إلا غروراً ٭ وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذنُ فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ٭ ولقد كانوا عاهدوا اللَّه من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد اللَّه مسؤولا﴾[الأحزاب: ٨-١٥].

- ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً﴾[الأحزاب: ١٨-٢٠].

- ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾[محمد: ١٦].

- ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾[محمد: ٢٠].

- ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم بلحن القول والله يعلم أعمالكم﴾[محمد: ٣٠].

- ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللَّه لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾[المنافقون: ٤-٥].

- ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا وللَّه خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[المنافقون: ٧-٨].

---

* تعمدت الاقتصار على ما جاء عن النفاق والمنافقين في القرآن الكريم دون السنة المطهرة، ويكفي حديث ابن مسعود عن صلاتي الفجر والعشاء في المسجد، إذ لم يكن يتخلف عنهما إلا منافق معلوم النفاق!!! . . فالمنافقون معروفون!!

التمايز الجلـي..

ألا يكفي كل ما سبق من بيان الملامح العامة لأهل النفاق، وافتضاح لمواقفهم العملية [في الغزوات وفي بناء مسجد الضرار وفي إثارة الفتن]، ألا يكفي كله للقول: إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واضح لكل ذي عينين؟.. بلى -واللَّه- وبخاصة لو نظرنا في كتاب اللَّه وفي السنة والسيرة النبويتين إلى صفات المؤمنين من صدق وإخلاص وبذل رائع للنفوس والأموال.. ولا سيما إذا تأملنا في الوعود المتكررة بأن أمر المنافقين سيفتضح، وهو ما عرضنا بعض الآيات عنه، ونضيف هنا:

- ﴿**يأأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئاً أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[المائدة: ٤١]..

وهل يكون الخزي سراً ؛ بل إنه افتضاحهم على رؤوس الأشهاد . .

- ﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللَّه أضغانهم**﴾[محمد : ٢٩] .

- ﴿**... فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم اللَّه عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير**﴾[التوبة : ٧٤] .

والوعيد هنا بعذاب المنافقين إن لم يعودوا إلى حظيرة الإيمان ، مع القطع بأنه لن يكون لهم ولي في الأرض مؤمناً أو غير مؤمن ، هو دليل صريح على أنه لم تكن هناك موالاة بينهم وبين الصحابة ، وإنما كف النبي عن قتلهم لأن أحكام الدنيا تجري على ظاهر الناس . .

إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واقع حتى في الموقف الواحد ، ونقتصر على أنموذجين -للتمثيل فحسب- ، أولهما : تخلف المنافقين عن رسول اللَّه في غزوة العسرة (تبوك) ، وهو ما بينته الآيات التي سبق الاستشهاد بها من سورة التوبة . . . أما

الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول اللّه في تلك الغزاة دون عذر: [وهم: ١- كعب بن مالك -٢- مُرَارة بن الربيع العَمْري -٣- هلال بن أمية الواقفي]، فإن موقفهم مختلف، لأنهم شعروا بتقصيرهم وكانوا مؤمنين حقّاً، فلم يختلقوا الأعذار الكاذبة التي اصطنعها المنافقون، فنزلت توبة اللّه عليهم بعد أن هجرهم النبي والمؤمنون خمسين يوماً:

﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللّه إلا إليه ثم تاب اللّه عليهم ليتوبوا إن اللّه هو التواب الرحيم﴾ [التوبة: ١١٨].

المثال الآخر هو حديث الإفك(*) حول عائشة -زوج النبي

(*) في مناسبة حديث الإفك لابد من التعليق على موقفين يوضحان نبل الصحابة وسمو أخلاقهم.. فأولهما: امتناع أبي بكر الصديق عن عادته السابقة في الإنفاق على مسطح ابن أثاثة، لما كان له من دور في حديث الإفك، لكن الصديق رجع إلى سيرته الأولى، لما نزل فيه قول الحق -تعالى- ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل اللّه وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم واللّه غفور رحيم﴾[النور: ٢٢].

والثاني: ثناء عائشة على حسان بن ثابت - وكان له دور في حديث الإفك عنها- وكانت ترد على من يذكره أمامها بسوء، بأنه هو القائل:

=

وأم المؤمنين- وهو حديث نسج خيوطه المفتراة رأس النفاق في المدينة: عبد اللّه بن أبيّ بن سلول، ولذلك كان التمييز جلياً بين دوره الآثم المتعمد الناجم عن كفره المبطن، وخطأ الذين رددوه من المؤمنين دون تثبت ودون إدراك لخطورته:

﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾[النور: ١١].

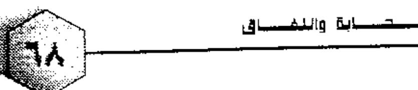
شـــهادات حذيفة..

برغم اتضاح الصورة من جميع ما سبق بيانه، ربما سأل سائل: فكيف توفق بين أن يكون المنافقون معروفين، وبين أن يستكتم الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان أسماءهم؟!.

وهو سؤال مشروع ويستحق إجابة دقيقة..

بدءاً، فإن شهادة حذيفة في قضية المنافقين أكثر دقة وتحديداً

= فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منك وقاء
[جامع الأصول - ٢/ ٢٦٧]... ألا ليتنا - إذا عجزنا عن التشبه بهم- لا نفتري عليهم!!!.



من الصيغة التي يعرضها بها «صاحبنا» وكل من سبقوه في هذا الدرب المنحرف . . .

إذاً، فلننظر في الروايات الواردة عن حذيفة -رضي اللَّه عنه- . . .

■ في صحيح البخاري، قال زيد بن وهب -رحمه اللَّه- : «كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني: ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم**﴾ [التوبة: ١٢]، إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد، تخبرونا أخباراً لا ندري ما هي؟ تزعمون أن لا منافق إلا أربعة، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفُسَّاق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده»[١] .

■ وفي صحيح البخاري أيضاً، قال حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه- : «إنما كان النفاق على عهد رسول اللَّه ﷺ، فأما اليوم، فإنه الكفر بعد الإيمان»[٢] . . وفي رواية أخرى :

(١) جامع الأصول - ٢/ ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق - ١١/ ٥٧١، ٥٧٢، وفي نسخ البخاري المطبوعة: فإنما هو الكفر بعد الإيمان.

«[فإنما هو] الكفر أو الإيمان». وفي ثالثة قال: «إن المنافقين اليوم هم شرٌ منهم على عهد رسول اللَّه ﷺ كانوا يومئذ يُسِرُّون، واليوم يجهرون».

■ وفي صحيح مسلم أن قيس بن عياد -رضي اللَّه عنه- قال: «قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرأياً رأيتموه أم شيئاً عهده إليكم رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول اللَّه ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن أخبرني حذيفة أن رسول اللَّه ﷺ أعلمه اثني عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأربعة لم أحفظ ما قال [شعبة] فيهم».

وفي رواية: ثمانية [منهم] تكفيكهم الدُّبَيْلة -سراج من النار يظهر في أكتافهم- حتى ينجم في صدورهم».

■ وأخرج البخاري حديث الأسود بن يزيد النخعي قال: «كنا في حلقة عبد اللَّه بن مسعود فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم، ثم قال: لقد أُنْزِل النفاق على قوم خير منكم، فقلنا: سبحان اللَّه! فإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**إن المنافقين في الدرك**

الأسفل من النار﴾[النساء: ١٤٥]. فتبسم عبد اللّه، وجلس حذيفة في ناحية السجد، فقام عبد اللّه وتفرق أصحابه، فرماني بالحصباء فأتيته، فقال حذيفة: عجبتُ من ضحكه وقد علم ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب اللّه عليهم»[1].

فوائد من شهادات حذيفة

١ - أن النفاق كان على عهد رسول اللّه ﷺ، وأما بعد ذلك فإما إيمان أو كفر...

٢ - أن أقصى عدد ذكره حذيفة ١٢ منافقاً، فأين يذهبون أمام الألوف المؤلفة من الصحابة الكرام؟

٣ - أن للمنافقين الذين كانوا أحياء في ذلك الوقت، علامات تظهر على أبدانهم فتفضحهم...

وعليه فإن البون شاسع جداً، بين الحقيقة وادعاءات

(١) جامع الأصول - ١١/ ٥٧٤، ٥٧٥، ويعلق ابن الأثير بأن مقصود حذيفة هو أن جماعة من المنافقين صلحوا واستقاموا، وكانوا خيراً من أولئك التابعين الذين كان يخاطبهم، لمكان الصحبة والصلاح، فممن كان منافقاً وصلح أمره واستقام: مُجَمِّع ويزيد ابنا جارية بن عامر، فكأنه أشار بالحديث إلى تقلب القلوب.

المرجفين الذين يعمدون إلى الابتسار والحذف والإضافة، لتحقيق غرضهم المريض الذي ما أنزل اللّه به من سلطان.

وفضلاً عن أن روايات حذيفة -متضافرةً- نصوص حاسمة في المسألة، فإني أضيف إليها حقيقة تاريخية ألحت عليّ كثيراً منذ شرعت أفكر في الرد على هذه الفرية... فلو ظل المنافقون -بعد وفاة رسول اللّه ﷺ- فئة كثيرة العدد وذات شوكة مثلما كانت من قبل، لما ترددوا لحظة واحدة عن انتهاز الفرصة التاريخية لهم، ممثلة في ارتداد العرب، وقلة عدد المسلمين في مكة والمدينة!!! بل إننا لا نلمح لهم أدنى وجود في الحوار بين الخليفة الأول والصحابة الذين كانوا يريدونه على عدم قتال مانعي الزكاة!!

ولسائل أن يسأل: فهل تبخرت أعداد المنافقين بمجرد وفاة النبي ﷺ؟... ونقتبس الإجابة من محكم التنزيل، قال اللّه عز وجل:

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ۝ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا باللّه وأخلصوا دينهم للّه فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي اللّه المؤمنين أجراً عظيماً﴾[النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

فباب التوبة المفتوح اتد ع لكثير ممن كانوا منافقين ثم آمنوا واستقاموا، تماماً كما قال حذيفة عنهم في حديثه لبعض التابعين في حلقة عبد اللَّه بن مسعود. . . وما من ريب في أن هلاك رأس النفاق في المدينة: ابن أبي في السنة التاسعة للهجرة، وفتح مكة، ودخول العرب في دين اللَّه أفواجاً قبيل انتقال النبي الكريم إلى جوار ربه، كلها كانت عوامل تؤازر هذا الخط، حتى قال الرسول ﷺ ما معناه: إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد في جزيرة العرب. .

وهناك دليل آخر على ما أزعم، في قوله - تبارك وتعالى - : ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أخِذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾[الأحزاب: ٦٠ - ٦١].

فمن الثابت أن اللَّه ما أغرى نبيه بهم، فلم يخرجهم ﷺ من المدينة، ولم يقتلهم، مما يؤكد انتفاء شرط الوعيد الإلهي الجازم المقترن بالقسم وهو ما تأكد في الوعيد للمنافقين بأن يقاتلوا في حروب الردة وإلا فإن اللَّه سيعذبهم عذاباً شديداً: ﴿**قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد**

تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم اللَّه أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما﴾[الفتح : ١٦].

ولم يتخلف أحد من أهل المدينة عن قتال المرتدين ومانعي الزكاة!!!

ومن ذلك كله، أخلص إلى أن الحكمة من لائحة الأسماء مع حذيفة، هي أن المنافقين باتوا قلة لا يؤبه بها، فما كانوا لينكشفوا مثلما انكشفوا مراراً في العهد النبوي، عندما يتخلفون عن الغزوات، أو يرجعون وهم في الطريق إليها ليثبطوا من عزيمة المؤمنين، أو عندما يهيئون مسجد الضرار لتمزيق وحدة الصف المسلم.. فوظيفة حذيفة أن يفتضح هؤلاء القلة إذا ما حاولوا إثارة الفتن، أو التصدي لمواقع قيادية، أو ممارسة التحريف في أي شكل من أشكاله.. واللَّه أعلم.



مـــع آل البيـــت

إذا كنا نرى علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- خليفة راشداً، وواحداً من المبشرين بالجنة، وأول من آمن من الفتيان، وأنه من أبرز المسلمين جهاداً وشجاعة وتقوى، وأن اللَّه فتح على يديه خيبر -كما أخبر بذلك النبي ﷺ من قبل أن تفتح-، وأن علياً رجل يحبه اللَّه ورسوله، و . . . . . . إلى آخر فضائله الثابتة في الصحاح والمسانيد، ومناقبه المشتهرة بين الكافة . . . إذا كنا على هذه الحال فهل من عاقل يتهمنا ببغض آل البيت -والعياذ باللَّه-؟ . .

الحقيقة أن المرجفين لا يريدون هذا، فهم يتهمون بالنصب -بغض آل البيت- كل من لا يوافقهم في الغلو في آل البيت، وفي تكفير الصحابة حتى ممن اعتزلوا القتال في الفتنة، بل حتى ممن سبقوا الفتنة كأبي بكر وعمر . . والأدهى من ذلك كله أنهم يقصرون الإيمان على ٤ -وفي رواية على ١٤- من الصحابة، مع أن الذين قاتلوا إلى جانب علي في الجمل ٢٥ بدرياً وأكثر أصحاب أحُد و ٦٠٠ من الأنصار!!!

وإذ ينددون بتحويل الخلافة على . ـ الأمويين ملكا عضوضاً، يفترون الكذب على اللّه حين يكادون يجعلون لرسالة محمد ﷺ هدفاً مختلقاً تأباه طبيعتها العالمية الشاملة، هو تكريس السلطة في علي وذريته!!

فما الفرق عن بني أمية؟.. إن آل البيت أتقى وأجل من الصورة الظالمة التي اصطنعها لهم هؤلاء باسم محبتهم!!

الحق مع علي

ينقل البغدادي تفضيل أهل السنة أبا بكر وعمر وعلياً من بعدهما، وأنهم اختلفوا في المفاضلة بين علي وعثمان، وقالوا بموالاة عثمان وتبرؤوا ممن أكفره. وقالوا بإمامة علي في وقته، وبتصويبه في حروبه بالبصرة -أي: الجمل- وصفين والنهروان، وقالوا بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي. وقالوا في صفين: إن الصواب كان مع علي، وإن معاوية وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطؤوا فيه لكنهم لا يكفرون بخطئهم[1]. وقالوا بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من

(١) الفرق بين الفرق - ٣٤٢.

أسباط رسول اللّه كالحسن بن ا حسن وعبد اللّه بن الحسن وعلي ابن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا، وكذلك قولهم في سائر أولاد على من صلبه كالعباس وعمر ومحمد بن الحنفية، وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين دون من مال منهم إلى اعتزال أو رفض، ودون من انتسب إليهم وأسرف في عدوانه وظلمه كالبرقعي الذي عدا على أهل البصرة، وأكثر النسابين على أنه كان دعيّاً فيهم[1] . . .

ولأن موالاة آل البيت موضع إجماع -كما رأينا- وأشهر من أن يبسط القول فيها، نذكر نماذج من مواقف بعض العلماء البارزين:

الإمام أحمد بن حنبل:

مثلما صنف أحمد -رحمه اللّه- في فضائل الصحابة، فإنه صنف في فضائل علي والحسن والحسين. والمنصوص عن أحمد وأهل السنة أنه لا يذم أحداً من المقتتلين في الجمل

(١) المرجع السابق - ٣٥٣، ٣٥٤.

وصفين، وان علـ ، أولى بالحق من غيره، وإن كانوا يرون أن تَرْك القتال فيهما كان أولى(١).

وقد اعترض بعض أهل الحديث البصريين على قول الإمام أحمد: من لم يُرَبِّع بعلي في الخلافة -أي: من لم يعده رابع الخلفاء الراشدين- فهو أضل من حمار أهله، واحتجوا بأن بعض الصحابة لم يربعوا به، غير أن أحمد احتج عليهم بحديث سفينة عن النبي ﷺ: تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً(٢)!!

ابن تيمية:

وهو يشبه علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- بالمسيح -عليه السلام-: غلا فيه قوم، ونقصه آخرون دون قدره. ويهاجم الذين افتروا على علي أنه من المحرضين على قتل عثمان -رضي اللَّه عنه-، ويوضح أن هذه الفرية صدرت عن فئتين: شيعة علي وشيعة عثمان، ويقرر أن جماهير المسلمين يعلمون كذب الطائفتين على علي(٣).

(١) منهاج السنة - ١/ ١٩٣.

(٢) المرجع السابق - ١/ ١٩٢.

(٣) المرجع السابق - ٢/ ١٤٥، ٢٤٦.

يفند شيخ الإسلام -رحمه الله- الرأي القائل: إن الناس اتفقوا على معاوية ولم يتفقوا على عليّ.. ويقول: نحن مجمعون على موالاة علي ومحبته وأكثر الناس ذوداً عنه في وجه الطاعنين عليه من الخوارج والنواصب.. وعلي أفضل من معاوية وأعلى درجة وأولى بالحق منه باتفاق الناس حتى في معسكر معاوية، فلا ينكره منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه!!

ويورد الفضائل العظيمة الثابتة لعلي في الأحاديث الصحيحة، ثم يؤكد أن أهل السنة يفضلون علياً على يزيد بن أبي سفيان، علماً بأن يزيد خير من معاوية[١] !!.

بل إن ابن تيمية يتصدى للنواصب الذين أخذوا على علي عدم قتله قَتَلَة عثمان، فيقول: إن معاوية -برغم اجتماع الناس عليه بعد مقتل علي- لم يقتل قتلة عثمان[٢] !!!

ويرى أن الحسين قُتِل مظلوماً شهيداً[٣]، وأن يزيد بن

---

(١) منهاج السنة - ٢/ ١٨٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦.
(٢) المرجع السابق - ٢/ ٢٧٠ - ٢٧٢.
(٣) المرجع السابق - ١/ ٢٢٠.

معاوية لم ينتصر للحسين ولم يأمر بقتل قاتله والأخذ بثأره[1] !!

ويشير إلى ما ثبت من فضائل للحسن والحسين -رضي اللَّه عنهما- ولمحمد الباقر وجعفر الصادق الذي يصفه بأنه: من خيار أهل العلم والدين.

وأحاديث الباقر وجعفر وابنه موسى في الصحاح والسنن والمساند وفي مصنفات فتاوى السلف ككتب ابن المبارك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغير هؤلاء[2].

ابن كثير:

ونقتطف شهادات منه في عدد من آل البيت الكرام، الأقل شهرة ومكانة من علي -رضي اللَّه عنه- فتتضح حقيقة الموالاة الصادقة من أهل السنة لآل البيت...

يقول عن أبي جعفر الباقر (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب): «تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً. روى عن غير

(١) المرجع السابق - ٢/ ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق ١/ ٣١٠، ٢/ ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥.

واحد من الصحابة، وحدَّث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم. وممن روى عنه: ابنه جعفر وربيعة والأعمش والأوزاعي وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهري[!!]. . وقال عنه محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث»[1].

وفي موضوع آخر، يقول عن عبد اللَّه بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب: «. . . تابعي، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين، وعبد اللهً بن جعفر بن أبي طالب - وهو صحابي جليل- وغيرهم.

وروى عنه جماعة منهم: سفيان الثوري والدراوردي ومالك، وكان معظماً عند العلماء، وكان عابداً كبير القدر. قال يحيى بن معين: كان ثقة صدوقا، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه، ووفد على السفاح فعظمه وأعطاه ألف ألف درهم، فلما ولي المنصور عامله بعكس ذلك، وكذلك أولاده وأهله، وقد مضوا جميعاً والتقوا عند اللَّه -عز وجل- وأخذه المنصور وأهل بيته مقيدين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية، فأودعهم السجن الضيق -كما قدمنا - فمات أكثرهم

(١) البداية والنهاية -ابن كثير- ٩/ ٣٠٩.

فيه، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة، وقد قيل: إنه قتل بالسجن عمداً...»[1].

وبلغ التعاطف عند ابن كثير[2]، أن علق على قتل أبي جعفر المنصور محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن -الملقب بـ: الديباج الأصفر لجماله وحسنه- فقال: «فعلى المنصور ما يستحقه من عذاب الله ولعنته»[3]... مع أن أهل السنة لا يلعنون المعيَّن- شخصاً محدداً- إلا من لعنه الله ورسوله بالاسم!!! ومع ذلك يفتري الزائغون عليهم بأنهم يكرهون آل البيت!!.

«الأسماء» ضد المفتري لا معه..

وكيف تستقيم تلك الأساطير بعد كل ما اتضح من حقائق، وبخاصة أن علماء الحديث الذين تعددت عندهم روايات

(١) المرجع السابق - ١٠/ ٩٥.

(٢) ناهيك عن وقوف مالك وأبي حنيفة مع ثورة النفس الزكية ضد المنصور (في التاريخ الإسلامي- د. عماد الدين خليل- ص١٣٤، ١٣٥)، وعن حب الشافعي لآل البيت إلى حد اتهامه بالتشيع، فقال:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

(٣) البداية والنهاية - ١٠/ ٨٢.

التشهد في الصلاة، تتفق جميعها على الصلاة على النبي وآله، وإن تعددت الصيغ[1].

واختلف أهل العلم في تحديد المقصود بـ «آل النبي» على أربعة أقوال، رجح ابن القيم أولها الذي يقول: هم الذين حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم وبني المطلب، مع أن القول الثاني يضيف زوجات النبي ﷺ إلى ذريته الطاهرة[2]!!

فالقضية دين يتبع وليست هوى مطاعاً ولذلك ما من مسلم إلا ويصلي على النبي وآله في صلاته خمس مرات كل يوم -إذا اقتصر على أداء الصلوات الخمس المفروضة- . . وليس في التشهد ذكر للصحابة!!!.

وعلى الرغم من أن تسمية المواليد ليست حجة في ذاتها، فإننا نرد عليها بالعلم لا بالتخرص. . . لقد شاء اللّه -عز وجل- أن يبهت المفتري، فإذا بصديق عماني يهدي إليَّ

(١) انظر فقه السنة - سيد سابق- ١/ ١٥٣
- جامع الأصول- ٥/ ٣٩٥ - ٤٠١
- روح الصلاة في الإسلام -عفيف عبد الفتاح طبارة- ١٣٤.
- الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري- ١/ ٢٦٦، ٢٦٧
(٢) فقه السنة - ١/ ١٥٣.

موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، وذلك بعد أقل من يومين من سماعي إفك المتخرص!!.

وهذه الموسوعة أول عمل من نوعه في العالم، وشملت العينة التي كانت موضع البحث أكثر من أربعة ملايين شخص في اثني عشر بلداً عربياً[1] !!... وتعرض الموسوعة قائمة بأسماء الذكور المئة الأكثر شيوعاً في العينة، ويهمنا منها التالي - مع بيان ترتيبه في القائمة-:

١ - محمد -٢- أحمد -٣- علي -٢٢- عمر -٤٠- عثمان !!!!!.

وأما أسماء الإناث المئة الأكثر شيوعاً فنختار منها:

٥ - فاطمة -٤٠- عائشة..

وفي القائمة الثالثة لأسماء الذكور والإناث المئة الأكثر انتشاراً، نجد التالي:

٣- علي -٢٢- عمر -٤٠- عثمان -٦٣-فاطمة..

---

(١) موسوعة السلطان قابوس- المجلد الأول- ص ١٩.

ويغيب اسم «عائشة» تماماً من هذه اللائحة[1] !!!.

ولا تعليق!!!.

نتيجة إنكار السنة

إن جحود السنة -فضلاً عن كونه كفراً يُخْرِج من الملة -، يذهب بكل الفضائل الجليلة لآل البيت الكرام.. وما وصل النواصب والخوارج والمعتزلة إلى التطاول عليهم، إلا بنكرانهم السنة!!.. ولذلك قد يفاجأ القارئ غير المتخصص عندما يطالع أن الكاملية- وهم فرقة من الشيعة الإمامية- يكفرون الإمام علي بن أبي طالب -كبرت كلمة تخرج من أفواههم- لأنه لم يقاتل أبا بكر وعمر وعثمان الذين غصبوه الخلافة -حسب ترهاتهم- !!.

بل إن جحود السنة هو الذي يجعل مؤرخاً لا دينياً مثل الدكتور نبيه عاقل، يتبنى السفاهات والأكاذيب، فيتهم في الصفحة ٦ من كتابه «خلافة بني أمية» يتهم بني هاشم بأنهم

(١) المرجع السابق - ١/ ٢٦-٢٨.

استخدموا ابن سبأ للدعاية لهم!! وفي الصفحة ١٤ يفتري على كبر الصحابة أنهم اجتمعوا على بغض عثمان، وأن علياً والزبير وطلحة كانوا على رأس الناقمين، لكنهم لم يسفروا عن عدائهم له، بل أرادوا أن تنبع الثورة من الأمصار !!!.. ويلتقي في أباطيله مع الغلاة ممن يزعمون حب آل البيت لكنهم في الحقيقة يشوهون صورتهم الجميلة، فينعت الرسول ﷺ -في الصفحة: ١٥٩- بالفشل!!. -إن يقول الظالمون إلا كذباً-.

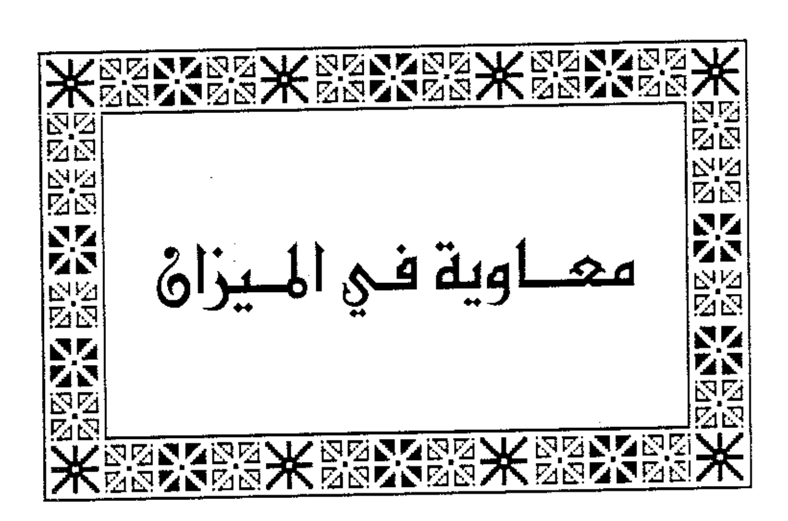
إن الصورة الجائرة المرسومة لآل البيت والصحابة، استفزت الدكتور موسى الموسوي، فتصدى لها في كتابه «الشيعة والتصحيح» الذي يوضح أن تجريح الصحابة من قِبَل الشيعة عمل متأخر ظهر بعد الغيبة الكبرى، ولم يكن في عهد الأئمة، وأن هدفه هدم الإسلام، وأنه يسيء إلى آل البيت[1] -رضي اللَّه عنهم-.

والرجل يدعو الشيعة إلى التزام شهادة علي -رضي اللَّه عنه- في أبي بكر وعمر وعثمان، فتتحق وحدة المسلمين[2].

---

(١) الشيعة والتصحيح - ١٥، ١٦.

(٢) المرجع السابق - ٤٨.


معاوية في الميزان

نبحث في الموقف من بني أمية -جملةً- من باب التنزل مع الخصم، وإلا فإن المسؤولية الفردية هي قاعدة الجزاء في الإسلام -قضاءً وديانة- ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[فاطر : ١٨].

وواقعياً، يتعذر الحكم عليهم دفعة واحدة -على طريقة الموتورين-، وفيهم من أهل السابقة إلى الإسلام واحد كعثمان ابن عفان، هاجر إلى اللّه، وناصر الإسلام، وزوجه النبي ﷺ اثنتين من بناته واحدة بعد الأخرى.. وفيهم من أهل العناد شخص كأبي سفيان تأخر إسلامه كثيراً، في حين أمضى معظم سنوات الدعوة على رأس أعدائها المشركين...

ومن بني أمية عمر بن عبد العزيز، الذي أجمع أهل القبلة -بل وكثير من غير المسلمين -على عدله، حتى أطلق عليه لقب «خامس الخلفاء الراشدين»، ومنهم فاجر متهتك كالوليد بن يزيد بن عبد الملك...

ومن بني أمية يزيد بن أبي سفيان الصحابي الذي ولاه أبو بكر الصديق قيادة أحد الجيوش الأربعة التي وجهها إلى فتح

الإسلام، وولاه الفاروق -الخبير بالرجال- دمشق بعد أن من الله على المسلمين بفتحها في عهد عمر... وكان في بني أمية قوم صالحون ماتوا قبل الفتنة[1]، لكن الحاقدين الذين يرون بعيون أهوائهم لم يسلم منهم أبو بكر وعمر، وهما فوق جميع بني أمية بتاريخهما المجيد في خدمة الإسلام، وبما في سجلهما من أوسمة وتزكيات نبوية لم ينلها سواهما.. فكيف ينجو بنو أمية الذين ماتوا قبل الفتنة؟!

والنبي ﷺ استعمل عدداً من بني أمية أكثر من سواهم، فقد ولى عتاب بن أسيد على مكة بعد الفتح، وخالد بن سعيد بن أبي العاص وأخويه أباناً وسعيداً، كما استعمل أبا سفيان -أو ابنه يزيد- على نجران[2].

وبعد وفاة النبي ﷺ، ذرت فتنة الردة قرنها، فكانت فرصة ذهبية لبني أمية لينقضوا على الدولة الإسلامية بعد أن تكالب الكل عليها -لو كان بنو أمية كلهم أو معظمهم كما يزعم المفترون-.. غير أن ما جرى هو نقيض ذلك تماماً، فهم قد أبلوا

(١) منهاج السنة - ٢/ ١٨٢.
(٢) المرجع السابق - ٢/ ١٨٢.

بلاء حسنا في قتال المرتدين ومانعي الزكاة[1].

فالحق -إذاً- ألا نزكي أمية بقضهم وقضيضهم، وألا نقذفهم قاطبة باتهامات لا يسندها دليل..

شهادة ضمنية...

نحن في غنى عن التذكير بما أوردناه آنفاً، من أنه لا مجال للمقارنة بين علي -رضي اللَّه عنه- ومعاوية.. غير أن تلك مسألة، واتهام معاوية بالنفاق مسألة أخرى... فلو افترضنا -جدلاً- أنه ليس صحابياً، فإن الأصل في المسلم ظاهره، وأما السرائر فهي اختصاص إلهي صرف... ومهما وقع المسلم في ذنوب- دون الشرك- فإنه في مشيئة اللَّه: إن شاء غفر له رحمة وفضلاً، وإن شاء عذبه حقاً وعدلاً:

﴿**إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[النساء: ٤٨].

وإذا كان خاتم الأنبياء والرسل ﷺ لم يعلم المنافقين بأعيانهم

(١) تاريخ الإسلام السياسي - حسن إبراهيم حسن- ١/ ٢٧٧.

إلا بالوحي من اللّه، فكيف يجتـــرىء عــاقل على توزيع الاتهامات بالنفاق جزافاً؟! . . أليس ذلك تألياً على اللّه؟! .

ونعود إلى حذيفة بن اليمان -صاحب سر رسول اللّه ﷺ- لسأل: هل كان حذيفة ليسكت على تولية منافق يعلمه يقيناً؟ فلقد ولي معاوية في عهد عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- ، وحذيفة توفي في مطلع عهد علي -رضي اللّه عنه-!!.

أليس الساكت عن الحق شيطاناً أخرس؟ . . . إننا نربأ بحذيفة أن يغضي عن مسألة بهذه الخطورة، لا سيما أنه كان يمتاز بالجرأة والصدع بكلمة الحق دون مواربة. . .

ولست أقف عند المنطق الفطري الجلي، وإنما أذكر واقعة مهمة فيما نحن بصدده. . . إذ لما بويع علي -رضي اللّه عنه- كان حذيفة عليلاً بالكوفة، فدعا الناس إلى المسجد وصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم أوصى الحاضرين بنصرة علي ومؤازرته لأنه على الحق أولاً وآخراً. ولأنه -عنده- خير من مضى بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة، وأمر ولديه صفواناً وسعداً أن يكونا مع علي، فستكون له حروب كثيرة، وهو على الحق، ومن خالفه على الباطل. .

وتوفي حذيفة بعد ذلك اليوم بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يوماً[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه: لمَ وصف حذيفة من سيخالف علياً بأنه على الباطل، ولم يصفه بالنفاق لو كان يعلم أنه منافق؟!..

بغـاة لكـن مؤمنون!!

يضاف إلى ذلك أن معاوية وعسكره الذين قاتلوا علي بن أبي طالب في صفين، موصوفون بـ«الفئة الباغية» في حديث صحيح، له في صحيح مسلم أكثر من رواية، فضلاً عن الترمذي والطبراني..

فقد قال رسول اللَّه ﷺ لعمار بن ياسر رضي اللَّه عنه: «تقتلك فئة باغية»، وفي رواية: «تقتلك الفئة الباغية»[2]..

والفئة الباغية لا تخرج من دائرة الإيمان، بدليل قوله

---

(١) مروج الذهب -المسعودي- ٢/ ٣٩٤.

(٢) جامع الأصول - ٩/ ٤١-٤٦.

-تعالى- : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر اللَّه فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن اللَّه يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا اللَّه لعلكم ترحمون﴾[الحجرات: ٩-١٠].

فابغي مرفوض شرعاً، لكنه لا يُخْرِجُ الباغين من دائرة الإيمان، وإذا وصفهم اللَّه بأنهم مؤمنون، فإن من يصفهم بالكفر أو النفاق متطاول يتألى على اللَّه -عز وجل-.

حسنات معاوية

إذا نظرنا إلى معاوية بمنظار تاريخي محايد، نجد أنه -ماعدا قتاله علياً وتحويله نظام الحكم من خلافة إلى ملك- شخص ذو مآثر. فهو أحد كُتَّاب الوحي[١]، وقاتل في حنين مع النبي ﷺ، ثم قاتل مع جيوش المسلمين جحافل الردة في موقعة اليمامة التي لقي فيها عدو اللَّه مسيلمة الكذاب حتفه، كما ولاه

(١) البداية والنهاية - ٨/ ١١٧.

الصديق قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد، فكان على مقدمته في فتح صيداء وعرقة وجبيل وبيروت.

وافتتح جزيرة قبرص في سنة ٢٧ الهجرية، فكان أول مسلم ركب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) مجاهداً. وبلغت فتوحات جيوشه المحيط الأطلسي وبلاد السودان، وكثيراً من جزائر اليونان والدردنيل، وحاصر المسلمون في عهده مدينة القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨هـ[١].

وبرغم أن المسعودي يتشيع لعلي ويغمز معاوية، فإنه شهد له بالحرص على العدل وقضاء حوائج الناس، وذكر أن عبدالملك بن مروان وغيره هموا أن يتخلقوا بأخلاق معاوية فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأتي للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم[٢].

ونحن لا نقول فيه أكثر مما قاله فيه ولده يزيد - على انحرافه-: إنه خير ممن بعده ودون من قبله ولا أزكيه على اللّه -عز وجل-[٣].

---

(١) المرجع السابق - ٨/ ١١٨، الأعلام- خير الدين الزركلي- ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.
(٢) مروج الذهب - ٣/ ٣٩-٥٩.
(٣) البداية والنهاية - ٨/ ١٤٣.

غير أنه ليس من الخلفاء الراشدين، فالخلافة الراشدة حسب النصوص النبوية -وهو ما التزمه السلف الصالح- تنتهي بتنازل الحسن بن علي -رضي اللَّه عنهما- لمعاوية عام ٤١ هـ..

وتلك من أعظم مآثر الحسن -سبط رسول اللَّه-، إذ قدَّم حقن دماء المسلمين على حقه في الخلافة!!.

فهل نفعل كالحمقى فنزايد على السبط الكريم وأحد سيدَّيْ شباب أهل الجنة؟!.

إن معاوية دون الحسن من حيث الفضل، فكيف وعلي أفضل من ولديه؟.. غير أننا لا نتجاوز حدود ما أنزل اللَّه فنفتري على عقائد الخلق زوراً وبهتاناً، مع أن تاريخهم اللاحق لخطئهم تضمن خيراً كثيراً؟!.. ولنفترض -جدلاً- أن ما فعله معاوية قبل أن يبايعه الناس كفر تبعته توبة فهل يعيَّر بماضيه؟!.. -وهذا مجرد افتراض جدلي-.

ولننظر في أن معاوية حكم المسلمين بعد عام الجماعة (٤١هـ) أكثر من ١٩ سنة، فلم يرد اسمه بين المبشرين بالجنة

–صراحة ولا ضمنا!![1]–، وهذا معناه:

- إما أنه يتورع –وهذا حق– عن الكذب على النبي.
- وإما أن الأمة ممثلة في علمائها المخلصين لا تسمح بأن يندس في السنة النبوية ما ليس منها..
- وإما أن الأمرين كليهما حقيقة لا تقبل الجدل.. وهذا هو الثابت فعلاً..

والأمة التي عدَّت معاوية أول ملك في الإسلام، هي التي أسبغت على عمر عبد العزيز لقب خامس الخلفاء الراشدين مع أنه ليس صحابياً وحكمه لم يتجاوز سنتين وبضعة أشهر!!! فهذه شهادة لمعاوية ولعمر وللسلف الصالح من العلماء العاملين.

---

(١) بل إن ابن القيم –رحمه اللَّه– يقول في «المنار المنيف»:
لا يصح شيء في فضل معاوية بن أبي سفيان عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم [عن: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً – د. محمد لقمان السلفي – ٤١٢].

إذا كنا نرفض الافتراء على أي شخص -حتى لو كان غير مسلم-، فإننا نأبى مسلك التبرير الذي اعتمده البعض ولو من باب رد الفعل، لأن معالجة الخطأ تتم باتباع الحق لا باللجوء إلى خطأ يقابل الأول.

من ذلك ما فعله محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب: «العواصم من القواصم» لأبي بكر بن العربي.. فهو يزعم أن الخلافة والمُلْك والإمارة عناوين اصطلاحية[1]، مع أن الحديث الصحيح يفرّق بين الخلافة والملك، الأولى: راشدة على منهج النبوة، ومدتها ثلاثون سنة!!.. والواقع التاريخي يميز بين الأمرين، حتى إن ابن العربي ذاته يصف معاوية بأنه ترك الأفضل وهو أن يجعلها شورى ولا يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولداً؟![2].

والفارق الواضح جداً بينهما، هو الذي استفز الصحابي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فجعله يعارض أخذ البيعة

(١) العواصم - هامش الصفحة ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق - ٢٢٢.

ليزيد في حياة معاوية، ويصفها بأنها هرقلية وقيصرية، مع أن عبد الرحمن لم يكن من شيعة علي بل إنه قاتله في موقعة الجمل!!.. ولما حاول مروان بن الحكم إسكاته افترى عليه أنه هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**والذي قال لوالديه أف لكما**﴾[الأحقاف: ١٧] فردت عليه عائشة -رضي اللَّه عنها- من وراء حجاب تكذِّب ادعاء مروان[١].

ومن عجيب أمر الخطيب ادعاؤه أن معاوية كان يعلم أن فتح باب الشورى في انتخاب من يخلفه سيُحْدث في الأمة مجزرة لا ترقأ فيها الدهاء إلا بفناء كل ذي أهلية فيَ قريش لولاية شيء من أمور هذه الأمة[٢]. فمتى كان تنفيذ شرع اللَّه يؤدي إلى مفسدة -معاذ اللَّه-.. لكنه الهوى ومعالجة الخطأ بالخطأ..

ويبلغ الخلل مداه عندما ما يسيغ الخطيب إقدام معاوية على قتل حجْر بن عدي، لأنه حَصَبَ أميره وهو يخطب، بأن لمعاوية عذراً إذا رأى أن حجراً ممن سعى في الأرض فساداً، وبأنه ما من حكومة في الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره[٣]!!!.

ونسي محب الدين الخطيب في غمره حماسه أن الحكومة

---

(١) انظر: جامع الأصول ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص: ٢٠٣.

(٢) العواصم - ٢١٥.

(٣) المرجع السابق - ٢١٢، ٢١٣.

الإسلامية ليست كأي حكومة، وأن هدر دم المسلم المعصوم ليس أمراً بهذه البساطة.. فهل يعاقب حاصب أميره بالقتل؟!..

نعم.. لولي الأمر أن يعاقبه، ولكن ليس بالقتل.. ولذلك لم يسلم معاوية من ملامة عائشة -أم المؤمنين- على قتله حجراً..

وليس عندي رد على هذه الدعوى الباطلة، سوى ماقاله شيخ الإسلام: ابن تيمية -رحمه اللَّه-: «نحن لا ننزه معاوية ولا من هو أفضل منه عن الذنوب فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد..»[1].

بيد أن الصحابة لو أذنبوا فإن لهم سوابق مشرفة، والذنوب -عموماً- تُغْفَرُ بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة...[2].

غير أن أبشع ماقاله الخطيب هو زعمه أن منتحلي الأقوال المتضمنة استطالة على معاوية لم يطعنوا في كفاءة يزيد وأهليته،

(١) منهاج السنة - ٢/ ٢٦١.

(٢) المرجع السابق - ٢/ ٢٣٤.

لأنها آخر ما يرتابون فيه[1] !!! . . فكيف تكون كفاءة يزيد فوق مستوى الشك، مع أنهم -حسب قوله- استطالوا على معاوية ذاته؟! . . أو لم يقف نحو من نصف المسلمين في معارضة معاوية نفسه، فلم يسلموا له بالطاعة إلا بعد تنازل الحسن بن علي -رضي اللَّه عنهما- له؟! . .

وبخاصة أن ابن عمر -رضي اللَّه عنهما- كان يود الرد على معاوية بالقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، لولا أنه خشي من أن تفرق كلمته صف الأمة وتسفك الدم، وذكر ما أعد اللَّه في الجنان لعباده المتقين فأحجم[2] . .

رأي السلف في يزيد

قال ابن كثير -رحمه اللَّه-: الناس في يزيد ثلاثة أقسام، قسم يتولون يزيد وهم من النواصب الحاقدين على آل البيت، وقسم يشنعون ويفترون عليه كثيراً كغلاة الشيعة، وطائفة ثالثة لا يحبونه ولا يسبونه، فلم يكن زنديقاً ولكن وقع في زمانه

(١) العواصم - ٢١٧.

(٢) العواصم - ٢٢٣، ٢٢٤، جامع الأصول - ١٠/ ٩٣، ٩٤ .

حوادث فظيعة وأمور مستنكرة بشـ ـه شنيعة، منْ أُنْكَرِهَا قتل الحسين على غير علم من يزيد، ولعله لم يرض به ولم يسؤه، وذلك من الأمور المنكرة جداً . . ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة المنورة . .[1] .

وأبو هريرة -رضي اللَّه عنه- كان يستعيذ باللَّه من أن تدركه سنة ستين الهجرية، وهي السنة التي تولى فيها يزيد[2] !! .

ويكفي فيه أن صالح بن أحمد بن حنبل قال لأبيه : «إن قوماً يقولون : إنهم يحبون يزيد، فقال : يابني وهل يحب يزيد أحد يؤمن باللَّه واليوم الآخر؟ فقال صالح : ياأبت فلماذا لا تلعنه؟ قال : يابني، ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟ »[3] .

وقال ابن تيمية عن وقعة الحرة التي اقترفها جيش يزيد بالمدينة : «وهذه من كبائره، ولهذا قيل لأحمد : أتكتب الحديث عن يزيد؟ فقال : لا ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل

---

(١) البداية والنهاية - ٦/ ٢٢٩ .

(٢) دفاع عن السنة - ١٨٥ .

(٣) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٥/ ٤١٠ [نقلاً عن : حركة النفس الزكية - محمد العبدة - ص : ٢٨] .

المدينة ما فعل؟»[1] .

أما السيوطي فيلعن قاتل الحسين وعبيد اللَّه بن زياد ويزيد معهما[2] . . وينقل عن الذهبي قوله[3] : «ولما فعل يزيد بأهل المدينة مافعل -مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات - اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك اللَّه في عمره . . .» .

(١) المنتقى (مختصر منهاج السنة - الذهبي - ٢٩٥ [نقلاً عن: حركة النفس الزكية - محمد العبدة - ص: ٣١].

(٢) تاريخ الخلفاء - ٢٠٧ .

(٣) المرجع السابق - ٢٠٩ .

نصيحة

أتمنى على كل مثقف مسلم يريد الوصول إلى حقيقة ما شَجَرَ بين الصحابة والحصول على تفسير يطمئن إليه قلبه وعقله، ولا يصطدم بالنصوص الشرعية، أتمنى عليه أن يقرأ كتاب «الدولة الأموية» للمؤرخ الدكتور يوسف العش -رحمه الله- وقد صدرت طبعته الثانية عن دار الفكر بدمشق عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥). . فهذا الكتاب -عموماً- أفضل كتاب قرأته عن تلك الحقبة المهمة، التي مازال كثير من الناس يتخبطون في تكوين مواقفهم إزاءها. .



ابن عمر
والزهري
المفترى عليهما

ابن عمر والجبن!!

تجمع المصادر الإسلامية المعتبرة على ورع عبد اللَّه بن عمر -رضي اللَّه عنهما- وعلى زهده وشدة اتباعه السنة -حتى فيما كان يفعله النبي ﷺ بحكم الجبلّة البشرية!!-.

وقداعتزل ابن عمر الفتن ككثير غيره من الصحابة، اعتقاداً منه أن ترك القتال هو الأوْلى، ولم يكن ذلك جبناً منه وفقاً لمفتريات «صاحبنا». . فسعد بن أبي وقاص، من أوائل المؤمنين وممن نصروا الدين في عهد النبوة قبل الهجرة وبعدها، وفي عهود الخلفاء الراشدين، حتى إن فتوح العراق -وبخاصة موقعة القادسية- اقترنت باسمه -رضي اللَّه عنه- لكنه اعتزل قتال الفتنة، فهل من عاقل يطلق صفة الجبن على دافع سعد إلى موقفه ذاك؟!.

وفي غزوتي بدر وأحد، رد النبي ﷺ ابن عمر وآخرين من فتيان الصحابة كانوا متشوقين إلى الجهاد في سبيل اللَّه، وسبب ردهم صغر أعمارهم، فهل يكون المندفع إلى القتال في يفاعته جباناً، مع أن المسلمين قبل بدر لم يكن لهم من الأسباب ما

يجعلهم يظنون أن الغلبة ستكون لهم ذات يوم، باستثناء إيمانهم بأن وعد اللَّه حق، وأنه -عز وجل- سينصرهم، في حين أن كفتي المقتتلين في الفتن كانتا شبه متكافئتين!!

والمعركة الأولى التي خاضها ابن عمر في حياته هي غزوة الخندق، وكان في الخامسة عشرة من عمره.. ثم شهد مع الرسول ﷺ فتح مكة والمشاهد التالية له، كما شارك مع جيوش المسلمين بعد ذلك في فتح مصر وفي موقعة نهاوند[١].

غير أن ابن عمر لبس السلاح لقتال نجدة بن عامر الحنفي -رأس الخوارج-[٢]، .. لماذا؟.. لأن في قتال الخوارج نصوصاً نبوية صريحة تثني على من يقاتلهم ويقتلهم!!.

وهذا معاوية يوصي ابنه يزيد فيقول له: «.... وأما ابن عمر فإنه رجل وَقَذَه الورع - أي: غلب عليه- فَخَلِّ بينه وبين آخرته يُخَلِّ بينك وبين دنياك...»[٣].

---

(١) أخبار عمر -علي وناجي الطنطاوي- ٤٣٢.

(٢) المرجع السابق - ٤٥٥.

(٣) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ٣/ ١٣١-١٣٢ [نقلاً عن: تاريخ الإسلام السياسي- ١/ ٢٨٥].

فمعاوية لم ينسب ابن عمر إلى الخوف على نفسه -كما زعم الكاذبون-، بل إنه يحذر ولده من أن يحول بين ابن عمر وصدق سعيه إلى اليوم الآخر، لئلا يفسد على يزيد دنياه!!.

وقد مر بنا من قبل أن ابن عمر رغب في الرد على معاوية الذي ادعى أنه ما من أحد أحق منه بولاية أمور المسلمين.. كان يود أن يقول له: أحق بهذا الأمر من قاتلك وأباك على الإسلام، لكنه تراجع إدراكاً منه لما سينجم عن رده من فتنة وتمزيق لصف المسلمين..

واستاءت حاشية عبد الملك بن مروان من رسالة بعثها إليه ابن عمر بدأها باسمه قبل اسم الخليفة: من عبد اللَّه بن عمر إلى أمير المؤمنين عبد الملك.... غير أنهم احتملوها منه لما رجعوا إلى رسائل سبق أن بعث بها إلى معاوية، فإذا هي بالطريقة نفسها[1]!!.

أفما كان أحرى به -لو كان كما افتروا- أن يصانع بني أميه ويجاملهم، لاسيما أن زمام الأمور قد استقر في أيديهم؟!!.

---

(١) البداية والنهاية - ٩/ ٦٣.

ويسأله عن عثمان وعلي سائل يكرههما، فيذكر ابن محاسنهما -رضي اللَّه عنهما-[1]، مع أن الجبان لا يذكر محاسن علي في عهد معظم الأمويين!!.

والأبلغ من كل ذلك، اصطدام ابن عمر بالحجاج بن يوسف الثقفي، الظلوم الغشوم، حتى قيل: إن الحجاج دس عليه من طعنه بحربة مسمومة فمرض بها ومات[2]!!

(١) جامع الأصول - ٨/ ٥٨٣.

(٢) السنة ومكانتها - السباعي - ٧٧، تاريخ الخلفاء السيوطي - ٢١٥، أخبار عمر - الطنطاويان - ٤٥٨.

الحقد على الزهري

حظي الإمام ابن شهاب الزهري بأوفر قسط من افتراءات المستشرقين -وبخاصة المستشرق اليهودي الحقود: جولد زيهر- وأتباعهم من المتغربين كحسين أحمد أمين[1] .

فزعموا -خلافاً للحقائق الناصعة- أنه كان يختلق الأحاديث النبوية لمصلحة الأمويين[2] !! . . وأول ما يطالعنا من سيرته أنه تتلمذ على يد إمام التابعين: سعيد بن المسيب، الذي لا يخشى في الحق لومة لائم، والذي كان ينكر على الحكام الأمويين كل ما يراه مخالفاً لأحكام الشرع الحنيف.

وما كان ابن المسيب الذي يأمر الحكام بالمعروف وينهاهم عن المنكر ما كان ليتغاضى عن الزهري لو كان هذا يداهنهم على حساب الدين!!

لقد ادعى جولد زيهر أن الزهري وضع على النبي ﷺ

---

(١) إسلام آخر زمن - ١/ ٢١ ، ٣/ ٨٥-٨٧ .

(٢) السنة ومكانتها -السباعي / ٢١٣ - ٢٢٦ .

حديث : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. . . ، لصالح عبد الملك بن مروان الذي أراد أن يصرف الناس عن الحج أيام سيطرة عبد اللّٰه بن الزبير على الحجاز!!

وفي ذلك -فضلاً عن الكذب والبهتان- ما يصطدم بالحقائق الحاسمة التالية :

١ - أن المسجد الأقصى المذكور في الحديث هو ذاته المذكور في القرآن الكريم ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾[الإسراء : ١].

فالمسجد منصوص عليه في كتاب اللّٰه من قبل أن يحكم عبد الملك بأكثر من ٦٠ عاماً!!.

٢ - أن مسجد الصخرة الذي بناه عبد الملك ليس وارداً في الحديث!!.

٣ - لم يفهم مسلم واحد في تاريخ المسلمين كله أن شد الرحال إلى المسجد النبوي أو المسجد الأقصى يغني عن فريضة الحج خامس أركان الإسلام!! والحديث يشير إلى إباحة شد

الرحال إلى المساجد الثلاثة دون سواها، ولا يقول أكثر من ذلك.

٤ - أن الزهري تعرف إلى عبد الملك بن مروان بعد مقتل ابن الزبير بسنوات سبع!!!.

٥ - أن حديث شد الرحال رواه الزهري عن المزعج الأول لحكم عبد الملك وهو سعيد بن المسيب!!! وسعيد توفي بعد مصرع ابن الزبير بعشرين سنة[1] !!!

---

(١) السنة ومكانتها - السباعي - ٢١٩.

إن الزهري -بخلاف الكذوب جولد زيهر والببغاوات الناعقة وراءه - كان يجلّ آل البيت الكرام، ولذلك تراه يعلّق على تعجل زيد بن علي في الخروج قبل التهيؤ الكامل: «أهلك أهل هذا البيت االعَجَلة»[1].

والزهري روى الحديث النبوي عن أبي جعفر الباقر[2] (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

والزهري كان أحد أبرز الذين أخذ جعفر الصادق العلم عنهم[3]!!

ومن أصح الأسانيد عند أهل الحديث: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- عن رسول الله ﷺ[4].

---

(١) حركة النفس الزكية - ٤٣.

(٢) البداية والنهاية - ٩/ ٣٠٩.

(٣) منهاج السنة - ٢/ ١٥٤.

(٤) جامع الأصول - ١/ ١٥٤.

ومنها: الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ[1].

ولننظر في مواقفه المشهودة مع بني أمية..

أخرج البخاري من حديث الزهري أن الوليد بن عبد الملك سأله: أَبَلَغَكَ أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ فقال الزهري: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن عائشة قالت لهما: كان علي مُسَلِّماً في شأنها[2]!!

وأخرج البخاري أيضاً من حديث الزهري عن عروة عن عائشة: (والذي تولى كبره منهم): عبد الله بن أُبَيّ[3]..

فلو كان الزهري كما زعموا، لتجاوب مع دعاية النواصب الذين كانوا يفترون على علي -رضي الله عنه- أنه تولى كِبْر حديث الإفك -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً-.. لكنه نفى، واستثنى ما بلغه عن أم المؤمنين بواسطة اثنين من بني أمية!!.

---

(١) المرجع السابق - ١/ ١٥٤.
(٢) المرجع السابق - ٢/ ٢٢٦.
(٣) المرجع السابق - ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وفي الحديث الآخر، يحدد الشخص الذميم صراحة وهو رأس المنافقين في المدينة. وبعد عهد الوليد حاول هشام بن عبد الملك أن يجدد الدعاية الظالمة عن علي -رضي اللَّه عنه- فأكد الزهري أن الذي تولى كبر حديث الإفك هو عبد اللَّه بن أبي بن سلول، فقال له هشام: كذبت.. وثار الزهري قائلاً: أنا أكذب؟! لا أبا لك!! فواللَّه لو نادى مناد من السماء أن اللَّه أحل الكذب ماكذبت!!!.. ثم روى له ما حدثه به عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه وعلقمة بن وقاص -كلهم- عن عائشة أن الذي تولى كبره: عبد اللَّه بن أبي.. فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل، فواللَّه ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك[1]!!.

أفمثل هذا الإمام الجريء يكذب؟ وعلى رسول اللَّه ﷺ بل وعلى رب العالمين؟!!..

واللَّه إن ناعته بما ليس فيه هو الكذوب الجهول..

---

(١) السنة - حجيتها ومكانتها - د. محمد لقمان السلفي - ٢٥٣، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٠٨ - ١١٣، التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢٢٠ - ٢٢١، تاريخ ابن خلكان ٤/ ١٧٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٢٦ - ٣٥٠، البداية والنهاية ٩/ ٣٨٤.

المحتويات